إنها ملكة

د . محمد بن عبد الرحمن العريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

البداية ..

أما هي .. فكانت فتاة روسية .. من عائلة محافظة ..

لكنها (آرثوذوكسية) شديدة التعصب للنصرانية ..

عرض عليها أحد التجار الروس أن تصحبه مع مجموعة من الفتيات .. إلى دولة خليجية ..لشـــراء أجهزة كهربائية .. ثم بيعها في روسيا ..

كان هذا هو الهدف المتفق عليه بين الرجل .. وهؤلاء الفتيات ..

وعندما وصلوا إلى هناك .. كشر عن أنيابه .. وعرض عليهن ممارسة الرذيلـــة .. وبـــدأ في تقـــديم الإغراءات لهن .. مال وافر .. علاقات واسعة ..

إلى أن اقتنع أكثر الفتيات بفكرته ..

إلا هذه الفتاة .. كانت شديدة التعصب لدينها النصراني .. فتمنعت ..

فضحك منها .. وقال : أنتِ في هذا البلد ضائعة .. ليس معكِ إلا ما تلبسين من الثيـــاب .. ولـــن أعطيكِ شيئاً .. وبدأ يضيق عليها ..

أسكنها في شقة مع بقية الفتيات .. وخبا جوازات سفرهن عنده .. وانجرفت الفتيات مع التيـــار .. وثبتت هي على العفاف ..

لا زالت تلح عليه كل يوم .. في تسليمها جوازها .. أو إرجاعها إلى بلدها .. فيأبى عليها ذلك ..

فبحثت يوماً في الشقة .. حتى وجدت جوازها .. فاختطفته ..

وهربت من الشقة ..

خرجت إلى الشارع .. لا تملك إلا لباسها ..

هامت على وجهها .. لا تدري أين تذهب .. لا أهل .. ولا معارف .. ولا مال .. ولا طعام .. ولا مسكن ..

أخذت المسكينة تتلفت حائرة يمنة ويسرة ..

وفجأة رأت شاباً.. يمشي مع ثلاث نساء ..

اطمأنت لمظهره .. فأقبلت عليه ..

وبدأت تتكلم باللغة الروسية ..
فاعتذر أنه لا يفهم الروسية ..
قالت : هل تتكلمون الإنجليزية ؟
قالوا : نعم !
فرحت .. وبكت .. وقالت : أنا امرأة من روسيا .. قصتي كذا وكذا .. ليس معي مال .. وليس لي مسكن .. أريد العودة إلى بلادي ..
أريد منكم فقط إيوائي .. يومين أو ثلاثة .. حتى أتدبَّر أمري مع أهلي وإخوتي في بلادي ..
أخذ الشاب (خالد) يفكر في أمرها ..
ربما تكون مخادعة ..! أو محتالة ..! وهي تنظر إليه وتبكي ..
وهو يشاور أمه وأختيه ..
وفي النهاية ..
أخذوها إلى البيت ..
وبدأت تتصل بأهلها .. ولكن لا مجيب .. الخطوط متعطلة في ذاك البلد !
وكانت تعيد في كل ساعة الاتصال ..
عرفوا أنها نصرانية .. تلطفوا معها .. رفقوا بها .. أحبتهم ..
عرضوا عليها الإسلام .. ولكنها رفضت .. لا تريد ..
بل لا تقبل النقاش في موضوع الدين أصلاً ..
لأنها من أسرة " أرثوذكسية " متعصبة تكره الإسلام والمسلمين !
فذهب خالد .. إلى مركز إسلامي للدعوة ..
وأحضر لها كتباً عن الإسلام باللغة الروسية ..
فقرأتها .. وتأثرت بها .. ومرت الأيام .. وهم يحاولون ويقنعون ..
حتى أسلمت .. وحسن إسلامها .. وبدأت تهتم بتعاليم الدين .. وتحرص على مجالسة الصالحات ..
خافت أن ترجع إلى بلدها فترتد إلى نصرانيتها ..

زواج ..

فتزوجها خالد ..

وكانت أكثر تمسكاً بالدين .. من كثير من المسلمات ..

ذهبت يوماً مع زوجها إلى السوق .. فرأت امرأة متحجبة .. قد غطت وجهها .. وكانت هذه أول مرَّة ترى فيها امرأة متحجبة تماماً .. فاستغربت من هذا الشكل !!

وقالت : خالد .. لماذا هذه المرأة بهذا الشكل ؟ لعل هذه المرأة مصابة بعلَّة شوهت وجهها .. فغطته ؟

قال : لا .. هذه المرأة تحجبت الحجاب الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده ..

والذي أمر به رسوله ﷺ ..

فسكتت قليلاً .. ثم قالت : نعم .. فعلاً .. هذا هو الحجاب الإسلامي .. الذي أراده الله منا ..

قال : وما أدراكِ ؟

قالت : أنا الآن إذا دخلت أي محل تجاري .. لا تنزل أعين أصحاب المحل عن وجهي ! تكاد أن تلتهم وجهي قطعة قطعة !!

إذن وجهي هذا لابد أن يُغطَّى .. لا بد أن يكون لزوجي فقط يراه .. إذن لن أخرج من هذا السوق إلا بمثل هذا الحجاب .. فمن أين نشتريه ..؟

قال : استمري على حجابك هذا .. كأمي وأخواتي ..

قالت : لا .. بل أريد الحجاب الذي يريده الله ..

مرت الأيام على هذه الفتاة .. وهي لا تزداد إلا إيماناً ..

وأحبها من حولها .. وملكت على زوجها قلبه ومشاعره ..

وفي ذات يوم نظرت إلى جواز سفرها .. فإذا هو قد قارب الانتهاء ..

ولا بد أن يُجدَّد ..

والأصعب من ذلك .. أنه لا بد أن يُجدد من المدينة نفسها الذي تنتمي إليها المرأة ..

إذن لا بد من السفر إلى روسيا .. وإلا تعتبر إقامتها غير نظامية ..

قرر خالد السفر معها .. فهي لا تريد السفر من غير محرم ..

ركبوا في طائرة تابعة للخطوط الروسية ..

وركبت هي بحجابها الكامل !! وجلست بجانب زوجها شامخة بكل عزة ..

قال لها خالد : أخشى أن نقع في إشكالات بسبب حجابك ..

قالت : أنت الآن تريد مني أن أطيع هؤلاء الكفرة ! وأعصي الله ..

لا .. والله .. فليقولوا ما شاءوا ..

بدأ الناس ينظرون إليها ..

وبدأت المضيفات يوزعن الطعام .. ومع الطعام الخمر ..

وبدأ الخمر يعمل في الرؤوس .. وبدأت الألفاظ النابية .. توجه إليها من هنا وهناك ..

فهذا يتندر .. وذاك يضحك .. والثالث يسخر ..

ويقفون بجانبها .. ويعلّقون عليها..

وخالد ينظر إليهم .. لا يفهم شيئاً ..

أما هي فكانت تبتسم وتضحك ..

وتترجم له ما يقولون ..

غضب الزوج ..

فقالت : لا .. لا تحزن .. ولا يضِق صدرك .. فهذا أمر بسيط ..

في مقابل ما جابهه الصحابة .. وما حصل للصحابيات من بلاء وابتلاء ..

صبرت هي وزوجها .. حتى وصلت الطائرة ..

في روسيا ..

قال خالد :

عندما نزلنا في المطار .. كان أظن أننا سنذهب إلى بيت أهلها ..

ونسكن عندهم ثم بعد ذلك ننهي إجراءاتنا ونعود ..

لكن نظرة زوجتي كانت بعيدة ..

قالت لي : أهلي (آرثوذوكس) متعصبون لدينهم .. فلا أريد أن أذهب الآن !

لكن نستأجر غرفة .. ونبقى فيها ..
وننهي إجراءات الجواز .. وقبيل السفر نزور أهلي ..
فرأيت أن هذا رأياً صواباً ..
استأجرنا غرفة وبتنا فيها ..
ومن الغد ذهبنا إلى إدارة الجوازات ..
دخلنا على الموظف فطلب الجواز القديم وصور للمرأة ..
فأخرجت له صوراً لها بالأسود والأبيض .. ولا يظهر منها إلا دائرة الوجه فقط ..
فقال الموظف : هذه صورة مخالفة .. نريد صورة ملونة .. يظهر فيها الوجه والشعر والرقبة كاملة !!
فأبت أن تعطيه غير هذه الصور ..
وذهبنا إلى موظف ثانٍ .. وثالث .. وكلهم يطلبون صوراً سافرة ..
وزوجتي تقول : لا يمكن أن أعطيهم صورة متبرجة أبداً ..
فرفض الموظفون استقبال الطلب ..
فتوجهنا إلى المديرة الأصلية .. فاجتهدت زوجتي أن تقنعها بقبول هذه الصور ..
وهي تأبى ..
فأخذت زوجتي تلح وتقول : ألا ترين صورتي الحقيقية .. وتقارنينها بالصور التي معك .. المهم رؤية الوجه .. الشعر قد يتغير .. هذه الصور تكفي ؟!
والمديرة تصر على أن النظام .. لا يقبل هذه الصور ..
فقالت زوجتي : أنا لن أحضر غير هذه الصور .. فما الحل ؟
قالت المديرة : لن يحل لكم الإشكال إلا مدير الجوازات الأصلية الكبرى في موسكو ..
فخرجنا من إدارة الجوازات .. فالتفتت إليَّ وقالت : يا خالد نسافر إلى موسكو ..
عندها قلت لها : أحضري الصور التي يريدون ..
ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .. فاتقوا الله ما استطعتم ..
وهذه ضرورة .. والجواز سيراه مجموعة من الأشخاص فقط .. للضرورة ..
ثم تخفينه في بيتك إلى أن تنتهي مدته .. دعي عنك المشاكل .. لا داعي للسفر إلى موسكو ..

فقالت : لا .. لا يمكن أن أظهر بصورة متبرجة ..
بعد أن عرفت دين الله سبحانه وتعالى ..

في موسكو ..

أصرَّت عليَّ فسافرنا إلى موسكو .. واستأجرنا غرفة وسكنَّاها ..

ومن الغد ذهبنا إلى إدارة الجوازات ..

دخلنا على الموظف الأول فالثاني فالثالث وفي نهاية المطاف ..

اضطررنا للتوجه إلى المدير الأصلي ..

دخلنا عليه .. وكان من أشد الناس خبثاً !

عندما رأى الجواز .. أخذ يقلب الصور .. ثم رفع رأسه إلى زوجتي وقال :

من يثبت لي أنكِ صاحبة هذه الصور ؟؟

يريدها أن تكشف وجهها ليراها ..

فقالت له : قل لأحد الموظفات عندك .. أو السكرتيرات .. تأتي فأكشف وجهي لها ..

وتطابق الصور .. أما أنت فلن تطابق الصور .. ولن أكشف لك وجهي ..

فغضب الرجل ..

وأخذ الجواز القديم .. والصور .. وبقية الأوراق .. وضم بعضها إلى بعض ..

وألقاها في درج مكتبه الخاص ..

وقال لها : ليس لكِ جواز قديم .. ولا جديد إلا بعد أن تأتين إليَّ .. بالصور المطابقة تماماً .. ونطابقها عليك ..

أخذت زوجتي تتكلم معه .. تحاول إقناعه .. ويتكلمان بالروسية .. وأنا أنظر إليهما .. لا أفهم شيئاً .. لكني غضبت .. ولا أستطيع أن أفعل شيئاً ..

وهو يردد : لا بد من إحضار الصور على شروطنا ..

حاولت المسكينة إقناعه .. ولكن لا فائدة ! فسكتت وظلت واقفة ..

التفتُّ إليها .. وأخذت أعيد عليها وأكرر : يا عزيزتي .. لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .. ونحن في ضرورة .. إلى متى نتجول في مكاتب الجوازات ..

فقالت لي : ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ..

اشتد النقاش بيني وبينها .. فغضب مدير الجوازات وطردنا من المكتب ..

خرجنا نجر خطانا .. وأنا بين رحمة بها .. وغضب عليها ..
ذهبنا لنتدارس الأمر في غرفتنا .. أنا أُحاول إقناعها .. وهي تحاول إقناعي ..
إلى أن أظلم الليل .. فصلينا العشاء .. وأنا مشغول البال على هذه المصيبة ..
ثم أكلنا ما تيسر ..
ووضعت رأسي لأنام ..

كيف تنام ..

فلما رأتني كذلك .. تغير وجهها ..
ثم التفتت إليَّ وقالت : خالد .. تنام !! قلت : نعم .. أما تحسين بالتعب ..!!
قالت : سبحان الله .. في هذا الموقف العصيب تنام !!
نحن نعيش موقفاً يحتاج منا إلى لجوء إلى الله ..
قُم إلجأ إلى الله فإن هذا وقت اللجوء ..
فقمت .. وصليت ما شاء الله لي أن أصلي .. ثم نمت ..
أما هي فقامت تصلي .. وتصلي ..
وكلما استيقظت .. نظرت إليها .. فرأيتها إما راكعة ..
أو ساجدة .. أو قائمة .. أو داعية .. أو باكية .. إلى أن طلع الفجر ..
ثم أيقظتني ..
وقالت : دخل وقت الفجر .. فهلُّم نصلي سوياً ..
فقمت .. وتوضأت .. وصلينا .. ثم نامت قليلاً ..
وبعدما طلعت الشمس ..
استيقظت .. وقالت : هيا لنذهب إلى الجوازات !!
فقلت لها : نذهب إلى الجوازات !! بأي حجة ؟! أين الصور ؟؟.. ليس معنا صور ؟!
قالت : لنذهب ونحاول .. لا تيأس من روح الله .. لا تقنط من رحمة الله ..
فذهبنا .. ووالله ما إن وطأت .. أقدامنا أول مكتب من مكاتب الجوازات ..

ورأوا زوجتي وقد عرفوا شكلها من حجابها ..

وإذا بأحد الموظفين ينادي : أنت فلانة ؟

قالت : نعم !

قال : خذي جوازكِ ..

فإذا هو مكتمل تماماً .. بصورها المحجبة ..

فاستبشرت .. والتفتت إليَّ وقالت : ألم أقل لك " ومن يتق الله يجعل له مخرجا " ..

فلما أردنا الخروج ..

قال الموظف : لابد أن تعودوا إلى مدينتكم التي جئتم منها .. وتختموا الجواز منها ..

فرجعنا إلى المدينة الأولى .. وأنا أقول في نفسي .. هذه فرصة لتزور أهلها قبل سفرنا من روسيا ..

وصلنا إلى مدينة أهلها .. استأجرنا غرفة ..

وختمنا الجواز ..

رحلة العذاب ..

ثم ذهبنا لزيارة أهلها .. وطرقنا الباب ..

كان بيتهم قديماً متواضعاً .. يبدوا الفقر على سكانه ظاهراً ..

فتح الباب أخوها الأكبر .. كان شاباً مفتول العضلات ..

فرحت المسكينة بأخيها .. وكشفت وجهها وابتسمت .. ورحبت !

أما هو فأول ما رآها تقلب وجهه بين فرح برجوعها سالمة .. واستغراب من لباسها الأسود الـــذي يغطي كل شيء ..

دخلت زوجتي وهي تبتسم .. وتعانق أخاها ..

ودخلْتُ وراءها .. وجلسْتُ في صالة المنزل ..

جلست وحيداً ..

أما هي .. فدخلت داخل البيت ..

أسمعها تتكلم معهم باللغة الروسية .. لم أفهم شيئاً ..

لكنني لاحظت أن نبرات الصوت بدأت تزداد حدة !! واللهجة تتغير !! والصراخ يعلو !!
وإذا كلهم يصرخون بها .. وهي تدافع هذا .. وترد على ذاك ..
فأحسست أن الأمر فيه شر !
ولكنني لا أستطيع أن أجزم بشيء لأني لم أفهم من كلامهم شيئاً ..
وفجأة بدأت الأصوات تقترب من الغرفة التي أنا فيها ..
وإذا بثلاثة من الشباب .. يتقدمهم رجل كهل .. يدخلون علي ..
توقعت في البداية أنهم سيرحبون بزوج ابنتهم !
وإذا بهم يهجمون عليَّ كالوحوش ..
وإذا بالترحيب ينقلب إلى لكمات .. وضربات .. وصفعات ..!!!
أخذت أدافعهم عن نفسي .. وأصرخ وأستغيث ..
حتى خارت قواي .. وشعرت أن نهايتي في هذا البيت ..
ازدادوا لكماً وركلاً .. وأنا أتلفت حولي .. أحاول أن أتذكر أين الباب الذي دخلت منه لأهـــرب منه ..
فلما رأيت الباب ..
قمت سريعاً .. وفتحتُ الباب وهربت ..
وهم ورائي .. فدخلت في زحمة الناس .. حتى غبت عنهم ..
ثم اتجهت إلى غرفتي .. وكانت ليست ببعيدة عن المنزل ..
وقفت أغسل الدماء عن وجهي وفمي ..
نظرت إلى نفسي وإذا .. بالضربات والصفعات ..
قد أثّرت في جبهتي وخدّي وأنفي ..
وإذا بالدم يسيل من فمي .. وثيابي ممزقة ..
حمدت الله أن أنقذني من أولئك الوحوش ..
لكني قلت .. أنا نجوت لكن ما حال زوجتي ؟!
أخذت صورتها تلوح أمام ناظري ..

هل يمكن أن تتعرض هي أيضاً لمثل هذه اللكمات والضربات ..
أنا رجل .. وما كدت أتحمل .. وهي امرأة فهل ستتحمل !!
أخشى أن تنهار المسكينة ..

هل حان الفراق ؟

بدأ الشيطان يعمل عمله .. ويقول لي : سترتد عن دينها .. ستعود نصرانية .. وتعــود إلى بلــدك وحدك ..

وبقيت حائراً .. ماذا أفعل ؟ في هذه البلاد .. أين أذهب .. كيف أتصرف ..

النفس في هذا البلد رخيصة .. يمكنك أن تستأجر رجلاً لقتل آخر بعشرة دولارات !

أوه .. كيف لو عذبوها فدلتهم على مكاني .. فأرسلوا أحداً لقتلي في ظلمة الليل ..

أقفلت عليَّ غرفتي ..

وبقيت فيها فزعاً خائفاً حتى الصباح ..

ثم غيرت ملابسي .. وذهبت أتجسَّس الأخبار ..

أنظر إلى بيتهم عن بعد .. أرقبه .. وأتابع كل ما يحصل فيه ..

لكن الباب مغلق .. ظللت أنتظر ..

وجأة .. فُتح الباب .. وخرج منه ثلاثة من الشباب .. وكهل ..

وهؤلاء الشباب هم الذين ضربوني ..

يبدوا من هيأتهم .. أنهم ذاهبون إلى أعمالهم ..

أُغلق الباب وأُقفل !

وبقيت أرقب .. وأترقب .. وأنظر ..

وأتمنى أن أرى وجه زوجتي .. ولكن لا فائدة ..

ظللت على هذا الحال ساعات ..

وإذا بالرجال يقدمون من عملهم ويدخلون البيت ..

تعبت .. فذهبت إلى غرفتي ..

وفي اليوم الثاني .. ذهبت أترقب .. ولم أر زوجتي ..

وفي اليوم الثالث كذلك ..

يئِست من حياتها .. توقعت أنها ماتت من شدة العذاب .. أو قُتلت !

ولكن لو كانت ماتت .. فعلى الأقل سيكون هناك حركة في البيت .. سيكون هناك من يأتي للعزاء .. أو الزيارة ..

لكني عندما لم أر شيئاً غريباً .. أخذت أقنع نفسي أنها حية .. وأن اللقاء سيكون قريباً ..

اللقاء ..

وفي اليوم الرابع .. لم أصبر على الجلوس في غرفتي ..

فذهبت أرقب بيتهم من بعيد ..

فلما ذهب الشباب مع أبيهم إلى أعمالهم .. كالعادة .. وأنا أنظر وأتمنى .. فإذا بالباب يُفتح فجأة ..

وإذا بوجه زوجتي يطل من ورائه ..

وإذا بها تلتفت يمنة ويسرة ..

نظرت إلى وجهها .. فإذا به دوائر حمراء .. ولكمات زرقاء .. من كثرة الصفعات والكـــدمات ..

وإذا لباسها مخضَّب بالدماء ..

فزعت من منظرها .. ورحمتها ..

اقتربت منها مسرعاً ..

نظرت إليها أكثر .. فإذا الدماء تسيل من جروح في وجهها ..

وإذا يداها .. وقدماها .. تسيل بالدماء ..

وإذا ثيابها ممزقة .. لم يبق منها إلا خرقة بسيطة تسترها ..

وإذا بأقدامها مربوطة بسلسلة !

وإذا بيديها مربوطة بسلسلة من خلف ظهرها ..

لما رأيتها .. بكيت .. لم أستطع أن أتمالك نفسي ..

ناديتها من بعيد ..

ثبات .. ووصايا ..

فقالت لي وهي تدافع عبراتها .. وتئن من شدة عذابها : اسمع يا خالد ..

لا تقلق عليَّ .. فأنا ثابتة على العهد ..

ووالله الذي لا إله إلا هو .. إن ما أُلاقيه الآن ..

لا يساوي شعرة مما لاقاه الصحابة والتابعون .. بل والأنبياء والمرسلون ..

وأرجوك يا خالد .. لا تتدخل بيني وبين أهلي ..

واذهب الآن سريعاً .. وانتظر في الغرفة ..

إلى أن آتيك إن شاء الله ..

ولكن أكثر من الدعاء .. أكثر من قيام الليل .. أكثر من الصلاة ..

ذهَبتُ من عندها .. وأنا أتقطع ألماً وحسرة عليها ..

وبقيت في غرفتي يوماً كاملاً أترقبها .. وأتمنى مجيئها ..

ومرة يوم آخر ..

وبدأ اليوم الثالث يطوي بساطه .. حتى إذا أظلم الليل ..

وإذا بباب الغرفة يُطرق عليَّ ؟

فزعت .. من بالباب ؟! من الطارق ..

أصبت بخوف شديد .. مَن الذي يأتي في منتصف الليل !!

لعل أهلها علموا بمكاني ..

لعل زوجتي اعترفت .. فجاءوا إلي لقتلي ..

أصبت برعب كالموت ..

لم يبق بيني وبين الموت إلا شعرة ..

أخذت أردد قائلاً : من بالباب ؟

فإذا بصوت زوجتي يقول بكل هدوء .. افتح الباب .ز أنا فلان ..

أضأت نور الغرفة .. فتحت الباب ..

دخلت علي وهي تنتفض .. على حالة رثة .. وجروح في جسدها ..

قالت لي : بسرعة .. هيا نذهب الآن !

قلت : وأنت على هذا الحال ؟

قالت : نعم .. بسرعة ..

بدأت أجمع ملابسي ..

وأقبلت هي على حقيبتها .. فغيرت ملابسها .. وأخرجَت حجاباً وعباءة احتياطية .. فلبستها ..

ثم أخذنا كل ما لدينا .. ونزلنا .. وركبنا سيارة أجرة .. ألقت المسكينة بجسدها المتهالك الجائع المعذب .. على كرسي السيارة ..

إلى المطار !!

وأول ما ركبت أنا .. قلت للسائق باللغة الروسية : إلى المطار .. وكنت قد عرفت بعض الكلمات الروسية ..

فقالت زوجتي : لا .. لن نذهب إلى المطار .. سنذهب إلى القرية الفلانية ..

قلت : لماذا ؟ نحن نريد أن نهرب ..

قالت : صحيح ..ولكن إذا اكتشف أهلي هروبي .. سيبحثون عنا في المطار .. ولكن نهرب إلى قرية كذا ..

فلما وصلنا تلك القرية ..

نزلنا .. وركبنا سيارة أخرى إلى قرية أخرى ..

ثم إلى قرية ثالثة .. ثم إلى مدينة من المدن التي فيها مطار دولي ..

فلما وصلنا إلى المطار الدولي .. حجزنا للعودة إلى بلادنا ..

وكان الحجز متأخراً فاستأجرنا غرفة وسكناها ..

فلما استقر بنا المقام في الغرفة ..

وشعرنا بالأمان ..

نزعت زوجتي عباءتها .. فأخذت أنظر إليها ..

يا الله ليس هناك موضع سلم من الدماء أبداً !!

جلد ممزق .. دماء متحجرة .. شعر مقطع .. شفاه زرقاء ..

قصة الرعب ..

سألتها : ما الذي حصل ؟

فقالت : عندما دخلنا إلى البيت جلست مع أهلي .. فقالوا لي : ما هذا اللباس ؟!!

قلت : إنه لباس الإسلام ..

قالوا : ومن هذا الرجل ؟

قلت : هذا زوجي .. أنا أسلمت وتزوجت بهذا الرجل المسلم ..

قالوا : لا يمكن هذا ..

فقلت : اسمعوا أحكي لكم القصة أولاً ..

فحكيت لهم القصة .. وقصة ذلك الرجل الروسي الذي أراد أن يَجرّني إلى الدعارة .. وكيف هربت منه .. ثم التقيت بك ..

فقالوا : لو سلكتي طريق الدعارة .. كان أحب إلينا من أن تأتيننا مسلمة ..

ثم قالوا لي : لن تخرجي من هذا البيت إلا أرثوذكسية أو جثة هامدة !!

ومن تلك اللحظة .. أخذوني ثم كتفوني ..

ثم جاءوا إليك وبدؤوا يضربونك ..

وأنا أسمعهم يضربونك .. وأنت تستغيث .. وأنا مربوطة ..

وعندما هربت أنت ..

رجع إخوتي إليَّ .. وعاودوا سبي وشتمي ..

ثم ذهبوا واشتروا سلاسل .. فربطوني بها .. وبدأو يجلدونني ..

فأتعرَّض لجلد مُبرِّح بأسواط عجيبة .. غريبة !! كل يوم ..

يبدأ الضرب بعد العصر إلى وقت النوم ..

أما في الصباح فإخواني وأبي في الأعمال ..

وأمي في البيت ..

وليس عندي إلا أخت صغيرة عمرها ١٥ سنة .. تأتي إلي وتضحك من حالتي ..

وهذا هو وقت الراحة الوحيد عندي ..

هل تصدق أنه حتى النوم .. أنام وأنا مغمى علي !
يجلدونني إلى أن يُغمى علي وأنام ..
وكانوا يطلبون مني فقط أن أرتد عن الإسلام .. وأنا أرفض وأتصبر ..
بعد ذلك .. بدأت أختي الصغيرة .. تسألني لماذا تتركين دينك .. دين أمـــك .. ديـــن أبيـــك .. وأجدادك ..

يجعل له مخرجاً ..

فأخذت أقنعها .. أُبيّن لها الدين .. وأوضح لها التوحيد .. فبدأت فعلاً تشعر بالقناعة ..
بدأت تتأثر ! بدأت صورة الإسلام أمامها تتضح !
ففوجئت بها تقول لي : أنت على الحق .. هذا هو الدين الصحيح ..
هذا هو الدين الذي ينبغي أن ألتزمه أنا أيضاً !!
ثم قالت لي : أنا سأساعدك ..
قلت لها : إذا كنتِ تريدين مساعدتي .. فاجعليني أقابل زوجي !
فبدأت أختي تنظر من فوق البيت ..
فتراك وأنت تمشي .. فكانت تقول لي :
إنني أرى رجلاً صفته كذا وكذا ..
فقلت : هذا هو زوجي ..فإذا رأيتيه فافتحي لي الباب لأكلمه ..
وفعلاً فتحت الباب فخرجْتُ وكلمتك ..
لكني لم أستطع الخروج إليك ..
لأني كنتُ مربوطة بسلسلتين .. مفتاحهما مع أخي ..
وسلسلة ثالثة .. مربوطة بأحد أعمدة البيت .. حتى لا أخرج ..
مفتاحها مع أختي هذه .. لأجل أن تطلقني للذهاب إلى الحمام ..
وعندما كلمتك .. وطلبت منك أن تبقى إلى أن آتيك .. كنت مربوطة بالسلاسل ..
فأخذت أقنع أختي بالإسلام .. فأسلمت ..
وأرادت أن تضحي تضحية تفوق تضحيتي ..

وقرّرت أن تجعلني أهرب من البيت ..

لكن مفاتيح السلاسل مع أخي .. وهو حريص عليها ..

في ذاك اليوم أعدَّت أختي لأخوتي خمراً مركزاً ثقيلاً ..

فشربوا .. وشربوا .. إلى أن سكروا تماماً لا يدرون عن شيء ..

ثم أخذت المفاتيح من جيب أخي .. وفكت السلاسل عني ..

وجئت أنا إليك في ظلمة الليل ..

فقلت لها : وأختكِ .. ماذا سيحصل لها ؟؟ ..

قالت : ما يُهمّ .. قد طلبتُ منها أن لا تعلن إسلامها .. إلى أن نتدبَّر أمرها ..

نمنا تلك الليلة ..

ومن الغد رجعنا إلى بلدنا .. وأول ما وصلنا أُدخلت زوجتي إلى المستشفى ..

ومكثت فيها عدة أيام تعالج من آثار الضربات والتعذيب ..

وهانحن اليوم ندعوا لأختها أن يثبتها الله على دينه .. (القصة مقتبسة من شريط " قصص مـؤثرة " د.إبراهيم الفارس).

يا أختنا الغالية ..

ما سقت لك هذه القصة لأهيج عواطفك .. ولا لأستدر دمعاتك .. أو أستثير مشاعرك ..

كلا ..

ولكن لتعلمي أن لهذا الدين .. أبطالاً يحملونه .. يضحون من أجله ..

يسحقون لعزه جماجمهم .. ويسكبون دماءهم .. ويقطعون أجسادهم ..

ولئن كان كفار الأمس .. أبو جهل وأمية .. عذبوا بلالاً وسمية ..

فإن كفار اليوم لا يزالون يبذلون .. ويخططون ويكيدون .. في سبيل حرب هذا الدين ..

فاحذري من أن تكوني فريسة ..

وحتى تنتبهي لعزك .. فاعلمي أن :

أول من سكن الحرم .. امرأة ..

عند البخاري ..
أن إبراهيم عليه السلام .. انطلق من الشام .. إلى البلد الحرام ..
معه زوجه هاجر وولدها إسماعيل وهو طفل صغير في مهده .. وهي ترضعه .. حتى وضعهما عنـــد مكان البيت .. وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء .. فوضعها هنالك .. ووضع عندهما جراباً فيه تمر .. وسقاء فيه ماء ..
ثم قفى عليه السلام منطلقاً إلى الشام ..
فتلفتت أم إسماعيل حولها .. في هذه الصحراء الموحشة .. فإذا جبالٌ صماء وصخوراً سوداء .. وما رأت حولها من أنيس ولا جليس ..
وهي التي نشأت في قصور مصر .. ثم سكنت في الشام في مروجها الخضراء .. وحدائقها الغنـــاء .. فاستوحشت مما حولها ..
فقامت .. وتبعت زوجها .. فقالت : يا إبراهيم . . أين تذهب .. وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟
فما رد عليها .. ولا التفت إليها .. فأعادت عليه .. أين تذهب وتتركنا .. فما ردَّ عليها ..
فأعادت عليه .. وما أجابها .. فلما رأت أنه لا يلتفت إليها ..
قالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم .. قالت : حسبي .. قد رضيت بالله .. إذن لا يضــيعنا .. ثم رجعت ..
فانطلق إبراهيم الشيخ الكبير .. وقد فارق زوجه وولده .. وتركهما وحيدين ..
حتى إذا كان عند ثنية جبل .. حيث لا يرونه .. استقبل بوجهه جهة البيت .. ثم رفع يديــه إلى الله داعياً .. مبتهلاً راجياً ..
فقال : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " ..
ثم ذهب إبراهيم إلى الشام ..
ورجعت أم إسماعيل إلى ولدها .. فجعلت ترضعه وتشرب من ذلك الماء ..

فلم تلبث أن نفد ما في السقاء .. فعطشت .. وعطش ابنها .. وجعل من شدة العطش يتلــوى .. ويتلمظ بشفتيه .. ويضرب الأرض بيديه وقدميه ..

وأمه تنظر إليه يتلوى ويتلبط .. كأنه يصارع الموت ..

فتلفتت حولها .. هل من معين أو مغيث .. فلم ترَ أحداً ..

فقامت من عنده ..

وانطلقت كراهية أن تنظر إليه يموت ..

فاحتارت.. أين تذهب !!

فرأت جبل الصفا أقرب جبل إليها .. فصعدت عليه .. وهي المجهدة الضعيفة .. لعلها ترى أعرابــاً نازلين .. أو قافلة مارة ..

فلما وصلت إلى أعلاه .. استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً .. فلم تر أحداً .. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها .. ثم سعت سعى الإنسان المجهود .. حتى جــاوزت الوادي ..

ثم أتت جبل المروة فقامت عليها .. ونظرت .. هل ترى أحداً .. فلم تر أحداً .. فعادت إلى الصفا .. فلم تر أحداً .. ففعلت ذلك سبع مرات .

فلما أشرفت على المروة في المرة السابعة .. سمعت صوتاً فقالت :

صه .. ثم تسمعت ..

فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث فأغثني .. فلم تسمع جواباً ..

فالتفتت إلى ولدها ..

فإذا هي بالملك عند موضع زمزم .. فضرب الأرض بعقبه أو بجناحه حتى تفجر الماء ..

فنزلت إلى الماء سريعاً .. وجعلت تحوضه بيدها وتجمعه ..

وتغرف بيدها من الماء في سقائها .. وهو يفور بعد ما تغرف .. فقال لها جبريل : لا تخافوا الضيعة .. إن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه ..

فلله درها ما أصبرها .. وأعجب حالها .. وأعظم بلاءها ..

هذا خبر هاجر .. التي صبرت .. وبذلت .. حتى سطر الله في القرآن ذكرها.. وجعل من الأنبياء ولدها .. فهي أم الأنبياء .. وقدوة الأولياء ..

هذا حالها .. وعاقبة أمرها ..

نعم .. تغربت وخافت .. وعطشت وجاعت ..

لكنها راضية بذلك مادام أن في ذلك رضا ربها ..

عاشت غريبة في سبيل الله .. حتى أعقبها الله فرحاً وبشراً ..

وطوبى للغرباء ..

فمن هم الغرباء .. إنهم قوم صالحون .. بين قوم سوء كثير ..

إنهم رجال ونساء .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

يقبضون على الجمر .. ويمشون على الصخر ..

ويبيتون على الرماد .. ويهربون من الفساد ..

صادقة ألسنتهم .. عفيفة فروجهم .. محفوظة أبصارهم ..

كلماتهم عفيفة .. وجلساتهم شريفة ..

فإذا وقفوا بين يدي الله .. وشهدت الأيدي الأرجل .. وتكلمت الآذان والأعين .. فرحوا واستبشروا ..

فلم تشهد عليهم عين بنظر إلى محرمات .. ولا أذن بسماع أغنيات ..

بل شهدت لهم بالبكاء في الأسحار .. والعفة في النهار ..

حتى إنهم يفدون دينهم بأرواحهم ..

تغلي بهم القدور ..!!

ماشطة بنت فرعون .. لم يحفظ التاريخ اسمها .. لكنه حفظ فعلها ..

امرأة صالحة كانت تعيش هي وزوجها .. في ظل ملك فرعون .. زوجها مقرب من فرعون .. وهي خادمة ومربية لبنات فرعون ..

فمن الله عليهما بالإيمان .. فلم يلبث زوجها أن علم فرعون بإيمانه فقتله ..فلم تزل الزوجة تعمل في بيت فرعون تمشط بنات فرعون .. وتنفق على أولادها الخمسة .. تطعمهم كما تطعم الطير أفراخها ..

فبينما هي تمشط ابنة فرعون يوماً .. إذ وقع المشط من يدها ..

فقالت : بسم الله .. فقالت ابنة فرعون : الله .. أبي ؟

فصاحت الماشطة بابنة فرعون : كلا .. بل الله .. ربي .. وربُّك .. وربُّ أبيك .. فتعجبت البنت أن يُعبد غير أبيها ..

ثم أخبرت أباها بذلك .. فعجب أن يوجد في قصره من يعبد غيره ..

فدعا بها .. وقال لها : من ربك ؟ قالت : ربي وربك الله ..

فأمرها بالرجوع عن دينها .. وحبسها .. وضربها .. فلم ترجع عن دينها .. فأمر فرعون بقدر من نحاس فملئت بالزيت .. ثم أحمي .. حتى غلا ..

وأوقفها أمام القدر .. فلما رأت العذاب .. أيقنت أنما هي نفس واحدة تخرج وتلقى الله تعالى .. فعلم فرعون أن أحب الناس أولادها الخمسة .. الأيتام الذين تكدح لهم .. وتطعمهم .. فأراد أن يزيد في عذابها فأحضر الأطفال الخمسة .. تدور أعينهم .. ولا يدرون إلى أين يساقون ..

فلما رأوا أمهم تعلقوا بها يبكون .. فانكبت عليهم تقبلهم وتشمهم وتبكي .. وأخذت أصغرهم وضمته إلى صدرها .. وألقمته ثديها ..

فلما رأى فرعون هذا المنظر ..أمر بأكبرهم .. فجره الجنود ودفعوه إلى الزيت المغلي .. والغلام يصيح بأمه ويستغيث .. ويسترحم الجنود .. ويتوسل إلى فرعون .. ويحاول الفكاك والهرب ..

وينادي إخوته الصغار .. ويضرب الجنود بيديه الصغيرتين .. وهم يصفعونه ويدفعونه .. وأمه تنظر إليه .. وتودّعه ..

فما هي إلا لحظات .. حتى ألقي الصغير في الزيت .. والأم تبكي وتنظر .. وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة .. حتى إذا ذاب لحمه من على جسمه النحيل .. وطفحت عظامه بيضاء فوق الزيت .. نظر إليها فرعون وأمرها بالكفر بالله .. فأبت عليه ذلك .. فغضب فرعون .. وأمر بولدها الثاني .. فسحب من عند أمه وهو يبكي ويستغيث .. فما هي إلا لحظات حتى ألقي في الزيت ..

وهي تنظر إليه .. حتى طفحت عظامه بيضاء واختلطت بعظام أخيه .. والأم ثابتة على دينها .. موقنة بلقاء ربها ..

ثم أمر فرعون بالولد الثالث فسحب وقرب إلى القدر المغلي ثم حمل وغيب في الزيت .. وفعل به ما فعل بأخويه ..

والأم ثابتة على دينها .. فأمر فرعون أن يطرح الرابع في الزيت ..

فأقبل الجنود إليه .. وكان صغيراً قد تعلق بثوب أمه .. فلما جذبه الجنود .. بكى وانطرح على قدمي أمه .. ودموعه تجري على رجليها .. وهي تحاول أن تحمله مع أخيه .. تحاول أن تودعه وتقبله وتشمه قبل أن يفارقها .. فحالوا بينه وبينها .. وحملوه من يديه الصغيرتين .. وهو يبكي ويستغيث .. ويتوسل بكلمات غير مفهومة .. وهم لا يرحمونه ..

وما هي إلا لحظات حتى غرق في الزيت المغلي .. وغاب الجسد .. وانقطع الصوت .. وشمت الأم رائحة اللحم .. وعلت عظامه الصغيرة بيضاء فوق الزيت يفور بها ..تنظر الأم إلى عظامه .. وقد رحل عنها إلى دار أخرى ..

وهي تبكي .. وتتقطع لفراقه .. طالما ضمته إلى صدرها .. وأرضعته من ثديها .. طالما سهرت لسهره .. وبكت لبكائه ..

كم ليلة بات في حجرها .. ولعب بشعرها .. كم قربت منه ألعابه .. وألبسته ثيابه ..

فجاهدت نفسها أن تتجلد وتتماسك ..فالتفتوا إليها .. وتدافعوا عليها ..

الطفل الرضيع ..

وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها .. وكان قد التقم ثديها ..

فلما انتزع منها .. صرخ الصغير .. وبكت المسكينة .. فلما رأى الله تعالى ذلها وانكسارها وفجيعتها بولدها .. أنطق الصبي في مهده وقال لها :

يا أماه اصبري فإنك على الحق ..ثم انقطع صوته عنها .. وغيِّب في القدر مع إخوته .. ألقي في الزيت .. وفي فمه بقايا من حليبها ..

وفي يده شعرة من شعرها .. وعلى أثوابه بقية من دمعها ..
وذهب الأولاد الخمسة .. وهاهي عظامهم يلوح بها القدر ..
ولحمهم يفور به الزيت .. تنظر المسكينة .. إلى هذه العظام الصغيرة ..
عظام من ؟ إنهم أولادها .. الذين طالما ملئوا عليها البيت ضحكاً وسروراً .. إنهم فلذات كبدها .. وعصارة قلبها .. الذين لما فارقوها .. كأن قلبها أخرج من صدرها .. طالما ركضوا إليها ..وارتموا بين يديها ..
وضمتهم إلى صدرها .. وألبستهم ثيابهم بيدها .. ومسحت دموعهم بأصابعها .. ثم هاهم ينتزعون من بين يديها .. ويقتلون أمام ناظريها ..
وتركوها وحيدة وتولوا عنها .. وعن قريب ستكون معهم ..
كانت تستطيع أن تحول بينهم وبين هذا العذاب .. بكلمة كفر تسمعها لفرعون .. لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى ..
ثم .. لما لم يبق إلا هي .. أقبلوا إليها كالكلاب الضارية .. ودفعوها إلى القدر .. فلما حملوها ليقذفوها في الزيت .. نظرت إلى عظام أولادها .. فتذكرت اجتماعهم معهم في الحياة .. فالتفتت إلى فرعون وقالت : لي إليك حاجة .. فصاح بها وقال : ما حاجتك ؟ فقالت : أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنها في قبر واحد .. ثم أغمضت عينيها .. وألقيت في القدر .. واحترق جسدها .. وطفت عظامها ..

فلله درها ..

ما أعظم ثباتها .. وأكثر ثوابها ..
ولقد رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء شيئاً من نعيمها .. فحدّث به أصحابه وقال لهم فيما رواه البيهقي : (لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة .. فقلت: ما هذه الرائحة ؟ فقيل لي : هذه ماشطة بنت فرعون وأولادُها ..) ..
الله أكبر تعبت قليلاً .. لكنها استراحت كثيراً ..
مضت هذه المرأة المؤمنة إلى خالقها .. وجاورت ربها ..

ويرجى أن تكون اليوم في جنات ونهر .. ومقعد صدق عند مليك مقتدر .. وهي اليوم أحسن منها في الدنيا حالاً .. وأكثر نعيماً وجمالاً ..

وعند البخاري أن رسول الله ﷺ قال : لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً .. ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ..

وروى مسلم أنه ﷺ قال : من دخل الجنة ينعم لا يبؤس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه . وله في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..ومن دخل إلى الجنة نسي عذاب الدنيا ..

ولكن لن يصل أحد إلى الجنة إلا بمقاومة شهواته .. فلقد حفت الجنة بالمكـــاره .. وحفـــت النـــار بالشهوات .. فاتباع الشهوات في اللباس .. والطعام .. والشراب .. والأسواق .. طريق إلى النار ..

قال ﷺ كما في الصحيحين : (حفت الجنة بالمكاره .. وحفت النار بالشهوات) ..

فاتعبي اليوم وتصبَّري .. لترتاحي غداً ..

فإنه يقال لأهل الجنة يوم القيامة : ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ ..

أما أهل النار فيقال لهم : ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عـــذاب الهون ﴾ ..

مال في قبر ..!!

ماشطة بنت فرعون .. ثبتت على دينها برغم الفتنة العظيمة التي أحاطت بها ..

فعجباً والله لفتيات .. لا تستطيع إحداهن الثبات ولو على إقامة الصلاة .. فلا تزال تتساهل بأدائها حتى تتركها حتى تكفر ..

وقد قال النبي ﷺ كما عند الترمذي : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) ..

ومن تركت الصلاة خلدها الله في النيران .. وعذبها مع الشيطان .. وأبعدها عن النعيم .. وســـقاها من الحميم ..

ذكر الذهبي في الكبائر ..

أن امرأة ماتت فدفنها أخوها .. فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به حتى انصرف عن قبرها .. ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبش التراب .. فلما وصل إليها وجد القبر يشتعل عليها ناراً .. ففزع .. ورد التراب عليها ..

ورجع إلى أمه باكياً فزعاً وقال : أخبريني عن أختي وماذا كانت تعمل ؟

فقالت الأم : و ما سؤالك عنها ؟

قال : يا أمي إني رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً ..

فبكت الأم وقالت : كانت أختك تتهاون بالصلاة .. وتؤخرها عن وقتها .

فهذا حال من تؤخر الصلاة عن وقتها .. فلا تصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس .. أو تؤخر غيرها من الصلوات ..

فكيف حال من لا تصلي ؟

وقد أخبر النبي ﷺ عن رؤياه لعذاب من يخرج الصلاة عن وقتها .. فقال :

أتاني الليلة آتيان .. وإنهما ابتعثاني .. وإنهما قالا لي : انطلق .. وإني انطلقت معهما ..

وإنا أتينا على رجل مضطجع .. وإذا آخر قائم عليه بصخرة .. وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه .. فيثلغ رأسه ..

فيتدهده الحجر هاهنا ..

فيتبع الحجر .. فيأخذه .. فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان ثم يعود عليه .. فيفعل به مثل ما فعل به مرة الأولى ..

فقلت : سبحان الله !! ما هذان ..

فقال الملكان : هذا الرجل .. يأخذ القرآن فيرفضه .. (يعني لا يعمل بما فيه) .. وينام عن الصلاة المكتوبة ..

﴿ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ ..

الملكة ..

هل تعرفينها ؟ كانت ملكة على عرشها .. على أسرةٍ ممهدة ، وفرشٍ منضدة ..

بين خدم يخدمون .. وأهلٍ يكرمون ..
لكنها كانت مؤمنة تكتم إيمانها ..
إنها آسية .. امرأة فرعون .. كانت في نعيم مقيم ..
فلما رأت قوافل الشهداء .. تتسابق إلى أبواب السماء ..
اشتاقت لمجاورة ربّها .. وكرهت مجاورة فرعون ..
فلما قتل فرعون الماشطة المؤمنة .. دخل على زوجه آسيةَ يستعرض أمامها قواه ..
فصاحت به آسية : الويل لك ! ما أجرأك على الله .. ثم أعلنت إيمانها بالله ..
فغضب فرعون .. وأقسم لتذوقَن الموت .. أو لتكفرَن بالله ..
ثم أمر فرعون بها فمدت بين يديه على لوحٍ .. وربطت يداها وقدماها في أوتاد من حديد .. وأمـــر بضربها فضربت ..
حتى بدأت الدماء تسيل من جسدها .. واللحم ينسلخ عن عظامها ..
فلما اشتدّ عليها العذاب .. وعاينت الموت ..رفعت بصرها إلى السماء .. وقالت : ﴿ رب ابـــن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ ..
وارتفعت دعوتها إلى السماء .. قال ابن كثير : فكشف الله لها عن بيتها في الجنة ..
فتبسمت .. ثم ماتت .. نعم .. ماتت الملكة ..
التي كانت بين طيب وبخور .. وفرح وسرور ..
نعم تركت فساتينها .. وعطورها .. وخدمها .. وصديقاتها ..
واختارت الموت ..
لكنها اليوم .. تتقلب في النعيم كيفما شاءت ..
قد نفعها صبرها على الطاعات .. ومقاومتها للشهوات ..

بيت من قصب ..!!

ومضت تلك الملكة إلى ربها .. ولا زال الخير في النساء ..

عند البخاري :

أن النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه بالنبوة .. كان يذهب إلى غار حراء .. بجانب المدينة .. فيتعبد فيه ..

فبينما هو ﷺ في هدوء الغار يوماً .. إذ جاءه جبريل فجأة .. فقال : اقرأ ..

ففزع النبي ﷺ منه .. وقال : ما قرأت كتاباً قط .. ولا أحسنه .. وما أكتب .. وما أقرأ ..

فأخذه جبريل فضمه إليه .. حتى بلغ منه الجهد .. ثم تركه .. فقال : اقرأ ..

فقال ﷺ : ما أنا بقارئ ..

فأخذه فضمه إليه الثانية.. حتى بلغ منه الجهد .. ثم تركه .. فقال : اقرأ ..

فقال ﷺ : ما أنا بقارئ .. فأخذه جبريل فضمه إليه الثانية.. حتى بلغ منه الجهد .. ثم تركه ..

فقال : " اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم " ..

فلما سمع النبي ﷺ هذه الآيات .. ورأى هذا المنظر .. اشتد فزعه .. ورجف فؤاده .. ثم رجع إلى المدينة ..

فدخل على خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها . فقال : زملوني .. زملزني .. أي غطوني بالفرش .. ثم اضطجع .. وغطوه ..

وأم المؤمنين .. تنظر إليه لا تدري ما الذي أفزعه ..

فلبث ﷺ ملياً حتى سكن روعه ..

ثم التفت إلى خديجة فأخبرها الخبر .. وقال لها : يا خديجة .. لقد خشيت على نفسي ..

فقالت خديجة : كلا .. والله لا يخزيك الله أبداً .. إنك لتصل الرحم .. وتقري الضيف .. وتحمل الكل .. وتكسب المعدوم .. وتعين على نوائب الحق ..

ثم لم ينقطع خيرها .. ولم يقف حماسها ..

وإنما أخذت بيده ﷺ .. فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن عمها .. وكان شيخاً كبيراً أعمى .. وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية .. وكان يقرأ الإنجيل .. ويكتبه .. ويعرف أخبار الأنبياء ..

فلما دخلت عليه خديجة جلست إليه ومعها رسول الله ﷺ .. فقالت له : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك ..

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .. وما سمع من القرآن ..

فقال ورقة : سبوح .. سبوح .. أبشر ثم أبشر .. هذا الناموس الذي أنزل على موسى ..

ثم قال ورقة : يا ليتني فيها جذعاً .. حين يخرجك قومك .. أي شاباً قوياً لأخرج معك وأنصرك ؟

ففزع ﷺ وقال : أومخرجيَّ هم ؟!

فقال : نعم ! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي .. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .. أي أنصرك نصراً عزيزاً أبداً ..

ثم خرج ﷺ مع زوجه خديجة .. وقد أيقنت خديجة أن عهد النوم قد تولى .. وأنها مع زوج سيبتلى .. وقد تخرج من بيتها .. وتؤذى في نفسها .. وهي المرأة التي نشأت غنية منعمة .. حسيبة مكرمة .. وهاهي تستقبل البلاء ..

فهل تخاذلت عن نصرة الدين .. أو خلطت الشك باليقين .. كلا .. بل آمنت بربها .. ونصرت نبيها.. بمالها .. ورأيها .. وجهدها .. ولم يزل هذا حالها حتى لقيت ربها ..

وقد روى مسلم أن النبي ﷺ أتاه جبريل فقال : يا رسول الله.. هذه خديجة .. قد أتتك ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب .. فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها.. ومني.. وبشرها ببيت في الجنة من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب ..

هذا خبر خديجة .. أول من دخل في الإسلام .. ونبذ عبادة الأصنام ..

سبقت الرجال .. وخلفت الأبطال ..

حتى ضرب التاريخ الأمثال ببذلها .. ودعانا إلى الاقتداء بفعلها ..

لم تلتفت إلى توهين من كافر .. أو شبهة من فاجر ..

فكان جزاؤها أن أعدَّ الله نزلها .. وبنى بيتها ..

فاستبشرت وفرحت .. وزادت وتعبدت ..

حتى لقيت ربها وهو راض عنها ..

﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ..

فرضي الله عن أم المؤمنين خديجة .. رضي الله عن أمنا ..

فهلا اقتدت بها بناتها .. هلا اقتديت أنت بها .. ليكون لك في الجنة مثلها بيت من قصب .. لا نصب فيه ولا وصب ..

الطعنة الأخيرة ..!!

كانت أم عمار .. سمية بنتِ خياط ..

أمة مملوكة لأبي جهل .. فلما جاء الله بالإسلام .. أسلمت هي وزوجها وولدها ..

فجعل أبو جهل يفتنهم .. ويعذبهم .. ويربطهم في الشمس حتى يشرفوا على الهلاك حراً وعطشاً ..

فكان ﷺ يمر بهم وهم يعذبون .. ودماؤهم تسيل على أجسادهم .. وقد تشققت من العطش شفاههم .. وتقرحت من السياط جلودهم .. وحر الشمس يصهرهم من فوقهم ..

فيتألم ﷺ لحالهم .. ويقول : صبراً آل ياسر .. صبراً آل ياسر .. فإن موعدكم الجنة ..

فتلامس هذه الكلمات أسماعهم .. فترقص أفئدتهم .. وتطير قلوبهم .. فرحاً بهذه البشرى ..

وفجأة .. إذا بفرعون هذه الأمة .. أبي جهل يأتيهم .. فيزداد غيظه عليهم .. فيسومهم عذاباً ..

ويقول : سبوا محمداً وربه .. فلا يزدادون إلا ثباتاً وصبراً .. عندها يندفع الخبيث إلى سمية .. ثم يستل حربته .. ويطعن بها في فرجها .. فتنفجر دماؤها .. ويتناثر لحمها .. فتصيح وتستغيث .. وزوجها وولدها على جانبيها .. مربوطان يلتفتان إليها ..

وأبو جهل يسب ويكفر .. وهي تحتضر وتكبر .. فلم يزل يقطع جسدها المتهالك بحربته .. حتى تقطعت أشلاءً .. وماتت رضي الله عنها ..

نعم .. ماتت .. فلله درها ما أحسن مشهد موتها ..

ماتت .. وقد أرضت ربها .. وثبتت على دينها ..

ماتت .. ولم تعبأ بجلد جلاد .. ولا إغراء فساد ..

فآهٍ لفتيات اليوم ..

تضل إحداهن بأقل من ذلك .. فتنحرف عن الصراط .. وهي لم تُجلد بسياط .. ولم تخوف بعذاب ..

ومع كل ذلك .. وهتك سمعها بسماع الأغنيات .. وبصرها بالأفلام والمسرحيات .. وعرضها بالغزل والمكالمات .. وحجابها بتلاعب أصحاب الشهوات ..

تشرب من ماء السماء ..!!

نعم .. كانت النساء .. تصبر على البلاء ..

كن يصبرن على العذاب الشديد .. والكي بالحديد .. وفراق الزوج والأولاد ..

يصبرن على ذلك كله حباً للدين .. وتعظيماً لرب العالمين ..

لا تتنازل إحداهن عن شيء من دينها.. ولا تهتك حجابها.. ولا تدنس شرفها.. ولو كان ثمنُ ذلك حياتها..

نساء خالدات .. تعيش إحداهن لقضية واحدة .. كيف تخدم الإسلام ..

تبذل للدين مالها .. ووقتها .. بل وروحها ..

حملن هم الدين .. وحققن اليقين ..

أم شريك غزية الأنصارية ..

أسلمت مع أول من أسلم في مكة البلد الأمين .. فلما رأت تمكن الكافرين .. وضعف المؤمنين ..

حملت هم الدعوة إلى الدين .. فقوي إيمانها .. وارتفع شأن ربها عندها ..

ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن إلى الإسلام .. وتحذرهن من عبادة الأصنام ..

حتى ظهر أمرها لكفار مكة .. فاشتد غضبهم عليها .. ولم تكن قرشية يمنعها قومها ..

فأخذها الكفار وقالوا : لولا أن قومك حلفاء لنا لفعلنا بك وفعلنا .. لكنا نخرجك من مكة إلى قومك ..

فتلتلوها .. ثم حملوها على بعير .. ولم يجعلوا تحتها رحلاً .. ولا كساءً .. تعذيباً لها ..

ثم ساروا بها ثلاثة أيام .. لا يطعمونها ولا يسقونها .. حتى كادت أن تهلك ظمئاً وجوعاً ..

وكانوا من حقدهم عليها .. إذا نزلوا منزلاً أوثقوها .. ثم ألقوها تحت حر الشمس .. واستظلوا هم تحت الشجر ..

فبينما هم في طريقهم .. نزلوا منزلاً .. وأنزلوها من على البعير .. وأثقوها في الشمس ..

فاستسقتهم فلم يسقوها ..

فبينما هي تتلمظ عطشاً .. إذ بشيء بارد على صدرها .. فتناولته بيدها فإذا هو دلو من ماء ..

فشربت منه قليلاً .. ثم نزع منها فرفع .. ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع .. ثم عاد فتناولتـــه ثم رفع مراراً ..

فشربت حتى رويت .. ثم أفاضت منه على جسدها وثيابها ..

فلما استيقظ الكفار .. وأرادوا الارتحال .. أقبلوا إليها .. فإذا هم بأثر الماء على جسدها وثيابها ..

ورأوها في هيئة حسنة .. فعجبوا .. كيف وصلت إلى الماء وهي مقيدة ..

فقالوا لها : حللت قيودك .. فأخذت سقائنا فشربت منه ؟

قلت : لا والله .. ولكنه نزل علي دلو من السماء فشربت حتى رويت ..

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : لئن كانت صادقة لدينها خير من ديننا ..

فتفقدوا قربهم وأسقيتهم .. فوجدوها كما تركوها .. فأسلموا عند ذلك .. كلهم .. وأطلقوها من عقالها وأحسنوا إليها ..

أسلموا كلهم بسبب صبرها وثباتها .. وتأتي أم شريك يوم القيامة وفي صحيفتها .. رجال ونساء .. أسلموا على يدها ..

امرأة من أهل الجنة ..!!

نعم عرف التاريخ أم شريك ..

وعرف أيضاً .. الغميصاء .. أم أنس بن مالك ..

التي قال فيها النبي ﷺ فيما رواه البخاري : دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا هي الغميصاء بنت ملحان ..

امرأة من أعجب النساء ..

عاشت في بداية حياتها كغيرها من الفتيات في الجاهلية .. تزوجت مالك بن النضر ..

فلما جاء الله بالإسلام.. استجابت وفود من الأنصار .. وأسلمت أم سـليم .. مـع السـابقين إلى الإسلام ..

وعرضت الإسلام على زوجها فأبى وغضب عليها ..

وأرادها على الخروج معه من المدينة إلى الشام .. فأبت وتمنعت ..
فخرج .. وهلك هناك ..
وكانت امرأة عاقلة جميلة فتسابق إليها الرجال ..
فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم فقالت :
أما إني فيك لراغبة .. وما مثلك يرد .. ولكنك رجل كافر .. وأنا امرأة مسلمة .. فإن تسلم فذاك مهري .. لا أسأل غيره ..
قال : إني على دين ..
قالت : يا أبا طلحة .. ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟
قال : بلى .. قالت : أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟ يا أبا طلحة ..
إن أنت أسلمت لا أريد من الصداق غيره ..
قال: حتى أنظر في أمري .. فذهب ثم جاء إليها .. فقال : أشهد أن لا إله إلا الله.. و أن محمدا رسول الله..
فاستبشرت .. وقالت : يا أنس زوج أبا طلحة .. فتزوجها ..
فما كان هناك مهر قط أكرم من مهر أم سليم : الإسلام ..
انظري كيف أرخصت نفسها في سبيل دينها ..
وأسقطت من أجل الإسلام حقها ..
نعم .. فتاة تعيش لأجل قضية واحدة هي الإسلام .. كيف ترفع شأنه .. وتعلي قدره .. وتهدي الناس إليه ..
بل .. حينما قدم النبي ﷺ المدينة .. استقبله الأنصار والمهاجرون فرحين مستبشرين ..
ونزل ﷺ في بيت أبي أيوب .. فأقبلت الأفواج على بيته لزيارته ﷺ ..
فخرجت أم سليم الأنصارية من بين هذه الجموع.. وأرادت أن تقدم لرسول الله ﷺ شيئاً .. فلم تجد أحب إليها من فلذة كبدها ..

فأقبلت بولدها أنس .. ثم وقفت بين يدي النبي ﷺ .. فقالت :
يا رسول الله هذا أنس يكون معك دائماً يخدمك .. ثم مضت ..
وبقي أنس عند رسول الله ﷺ يخدمه صباحاً ومساء ..

ليلة مع أم سليم ..!!

لم تكن أم سليم تتصنع البذل أمام الناس وتنساه في نفسها .. وإنما العجب حالها في بيتها .. من عناية بزوجها .. ورضا بقسمة ربها ..

تزوجت أم سليم أبا طلحة .. ورزقت منه بغلام صبيح .. هو أبو عمير ..وكان أبو طلحة يحبه حبـــاً عظيماً ..

بل كان ﷺ يحبه .. ويمر بالصغير فيرى معه طيراً يلعب به .. اسمه النغير .. فكان يمازحه ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير ؟

فمرض الغلام .. فحزن أبو طلحة عليه حزناً شديداً .. حتى اشتد المرض بالغلام يوماً ..

وخرج أبو طلحة في حاجة إلى رسول الله ﷺ .. وتأخر عنده ..

فازداد مرض الغلام ومات .. وأمه عنده ..

بكى بعض أهل البيت .. فهدأهم وقالت : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ..

فوضعت الغلام في ناحية من البيت وغطته .. وأعدت لزوجها طعامه ..

فلما عاد أبو طلحة إلى بيته .. سألها : كيف الغلام ؟

قالت : هدأت نفسه .. وأرجو أن يكون قد استراح ..

فتوجه إليه ليراه .. فأبت عليه وقالت : هو ساكن فلا تحركه ..

ثم قربت له عشاءه فأكل وشرب .. ثم أصاب منها ما يصيبه الرجل من امرأته ..

فلما رأت أنه قد شبع واستقر .. قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيـــت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ..

قالت : ألا تعجب من جيراننا ؟ قال : وما لهم ؟!

قالت : أعارهم قوم عارية .. وطال بقاؤها عندهم حتى رأوا أن قد ملكوها .. فلمـــا جـــاء أهلـــها يطلبونها .. جزعوا أن يعطوهم إياها ..

فقال : بئس ما صنعوا ..

فقالت : هذا ابنك .. كانت عارية من الله .. وقد قبضه إليه .. فاحتسب ولدك عند الله ..

ففزع .. ثم قال : والله .. ما تغلبيني على الصبر الليلة .. فقام وجهز ولده ..

فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فأخبره .. فدعا لهما بالبركة ..
قال راوي الحديث : فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن ..
فانظري كيف ارتفعت بدينها .. عن شق الجيوب.. وضرب الخدود.. والدعاء بالويل والثبور ..
هل رأيتم امرأة توفى ابنها .. بين يديها .. وتقوم بخدمة زوجها .. وتهيئ له نفسها ..
بل هل رأيت ألطف من لطفها .. أو ألين من طريقتها ..

امرأة تربي زوجها ..!!

إن امرأة بهذا الإيمان والدين .. والصدق واليقين .. لينتشر خيرها .. وتعم بركة فعلها .. على أهل بيتها ..
فيصلح أولادها .. وتستقيم بناتها .. ويتأثر زوجها بصلاحها ..
فلا عجب أن يرتفع شأن أبي طلحة بعد زواجه منها ..
كانت أم سليم تحثه على الدعوة والجهاد .. وطاعة رب العباد .. حتى إذا كانت خرج أبو طلحة مع المجاهدين .. فاشتد عليهم البلاء ..فاضطرب المسلمون .. وقتّلوا .. وتفرقوا ..
وأقبل المشركون على رسول الله ﷺ يريدون قتله ..
فأقبل عليه أصحابه الأخيار .. وهم جرحى .. وجوعى ..
دماؤهم تسيل على دروعهم .. ولحومهم تتناثر من أجسادهم ..
أقبلوا على رسول الله ﷺ .. فأحاطوه بأجسادهم يصدون عنه الرماح .. وضربات السيوف .. تقع في أجسادهم دونه ..
وكان أبو طلحة يرفع صدره ويقول : يا رسول الله لا يصيبك سهم .. نحري دون نحرك .. وهو يقاتل عن رسول الله ﷺ ويحامي ..
والكفار يضربونه من كل جانب .. هذا يرميه بسهم .. وذلك يضربه بسيف .. والثالث يطعنه بخنجر .. فلم يلبث أن صُرع ووقع من كثرة الضرب عليه ..
فأقبل أبو عبيدة يشتد مسرعاً .. فإذا أبو طلحة صريعاً .. فقال النبي ﷺ : (دونكم أخاكم فقد أوجب) .. فحملوه .. فإذا بجسده بضع عشرة ضربة وطعنة ..

نعم .. كان أبو طلحة بعدها .. يرفع راية الدين .. وكان ﷺ يقول : لصوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من فئة ..!! هذا صوته في الجيش .. فما بالك بقوته وقتاله ؟ ..

متى نراك مثلها ؟!

فقد دعا النبي ﷺ النساء كما دعا الرجال .. وبايع النساء كما بايع الرجال .. وحدث النساء كما حدث الرجال ..

والنساء والرجال متساويان في الجزاء والعقاب ..

قال تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ..

وهما متساويان في الحقوق الإنسانية .. فلكل من الزوجين حق على الآخر .. قال ﷺ : (ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً) ..

والميزان الوحيد عند الله للمفاضلة بين الرجل والمرأة هو التقوى .. ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ..

وكلما احترمت المرأة نفسها احترمها من حولها .. فهي ثمينة مادامت أمينة .. فإذا خانت هانت ..

وانظري إلى رسول الله ﷺ .. لما فتح مكة .. واضطرب أمر الكفار فيها .. فمنهم من قاتل .. ومنهم أسلم .. ومنهم من اختبأ ..

فكان من بين المقاتلين رجلان قاتلا علياً رضي الله عنه ثم فرا من بين يديه ..

والتجئا إلى بيت أم هانئ أخت علي رضي الله عنه .. فأمنتهما ..

فأقبل علي عليها .. فدخل البيت .. وقال : والله لأقتلنهما .. فأغلقت أم هانئ عليهما باب البيت .. ثم ذهبت سريعاً إلى رسول الله ﷺ .. فلما رآها قال : مرحباً يا أم هانئ .. ما جاء بك ؟ فقالت : زعم علي أنه يقتل رجلين أمنتهما .. فقال ﷺ : قد أجرنا من أجرت .. وأمنا من أمنت .. فلا يقتلهما ..

وجعل الله للمرأة حقها في تقرير حياتها .. فلا تزوج إلا بإذنها .. ولا يؤخذ من مالها إلا باختيارها .. وإن اتهمت في عرضها عوقب متهمها .. وإن احتاجت أُلزم وليها بسد حاجتها .. أبوها مأمور بالإحسان إليها .. وولدها مأمور ببرها .. وأخوها مأمور بصلتها ..

بل طالما قدم الدين المرأة على الرجل ..

قال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك ..)

وفي الصحيحين قال رجل : يا رسول الله ! من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال ﷺ : أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك) ..

ورأى ابن عمر ﷺ رجلاً يطوف حول الكعبة .. يحمل عجوزاً على ظهره ..فسأله : من هذه فقال الرجل : هذه أمي مقعدة .. وأنا أحملها على ظهري منذ عشرين سنة .. أتراني يا ابن عمر وفيتها حقها .. فقال ابن عمر : لا .. لا .. ولا زفرة من زفراتها ..

من النرويج إلى أفريقيا ..!!

كيف تتقاعس فتيات اليوم عن نصرة الدين ..

بل كيف ترى المنكرات ظاهرة .. بصور فاجرة .. أو علاقات سافرة ..

ومحرمات في اللباس والحجاب .. مؤذنة بقرب نزول العذاب ..

ترى هذه المنكرات بين قريباتها .. وأخواتها وزميلاتها ..

ثم لا تنشط للإنكار .. وقد قال ﷺ : من رأى منكم منكراً فليغيره ..

فهل غيرت ما استطعت من منكرات ؟

ليت شعري .. كيف يكون حالك يوم القيامة .. إذا تعلقت بك الصديقة والزميلة .. والحبيبة والخليلة ..

وبكين وانتحبن .. لم رأيتينا على المنكرات .. ومقارفة المحرمات ..

ولم تنهي أو تنصحي .. أو تعظي وتذكري ..

وانظري إلى تضحية الكافرات لدينهن ..

يقول أحد الدعاة :

كنت في رحلة دعوية إلى اللاجئين في أفريقيا ..

كان الطريق وعراً موحشاً أصابنا فيه شدة وتعب..

ولا نرى أمامنا إلا أمواجاً من الرمال .. ولا نصل إلى قرية في الطريق .. إلا ويحذرنا من قُطَّاع الطرق ..

ثم يسَّر الله الوصول إلى اللاجئين ليلاً ..

فرحوا بمقدمي .. وأعدَّوا خيمة فيها فراش بال ..

ألقيت بنفسي على الفراش من شدة التعب.. ثم رحت أتأمل رحلتي هذه. أتدري ما الذي خطـــر في نفسي؟!

شعرت بشيء من الاعتزاز والفخر.. بل أحسست بالعجب والاستعلاء! فمن ذا الذي ســـبقني إلى هذا المكان؟!

ومن ذا الذي يصنع ما صنعت؟!

ومن ذا الذي يستطيع أن يتحمل هذه المتاعب؟!

وما زال الشيطان ينفخ في قلبي حتى كدت أتيه كبراً وغروراً

خرجنا في الصباح نتجول في أنحاء المنطقة.. حتى وصلنا إلى بئر يبعد عن منازل اللاجئين .. فرأيـــت مجموعة من النساء يحملن على رؤوسهن قدور الماء.. ولفت انتباهي امرأة بيضاء من بـــين هـــؤلاء النسوة.. كنت أظنها – بادي الرأي – واحدة من نساء اللاجئين مصابة بالبرص..

فسألت صاحبي عنها ..

قال لي مرافقي: هذه منصرة .. نرويجية .. في الثلاثين من عمرها ..

تقيم هنا منذ ستة أشهر .. تلبس لباسنا.. وتأكل طعامنا.. وترافقنا في أعمالنا..

وهي تجمع الفتيات كل ليلة .. تتحدث معهن .. وتعلمهن القراءة والكتابة.. ووأحياناً الرقص ..

وكم من يتيم مسحت على رأسه! و مريض خففت من ألمه!

فتأملي في حال هذه المرأة.. ما الذي دعاها إلى هذه القفار النائية وهي على ضلالها؟!

وما الذي دفعها لتترك حضارة أوروبا ومروجها الخضراء؟!

وما الذي قوَّى عزمها على البقاء مع هؤلاء العجزة المحاويج وهي في قمة شبابها؟!

أفلا تتـــصـــاغرين نفسك ..

هذه منصِّرة ضالّة .. تصبر وتكابد .. وهي على الباطل ..

بل في أدغال أفريقيا .. تأتي المنصرة الشابة من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ..

تأتي لتعيش في كوخ من خشب .. أو بيت من طين .. وتأكل من أردئ الطعام كمـــا يـــأكلون .. وتشرب من النهر كما يشربون .. ترعى الأطفال .. وتطبب النساء ..

فإذا رأيتيها بعد عودها إلى بلدها .. فإذا هي قد شحب لونها .. وخشن جلدها .. وضعف جسدها .. لكنها تنسى كل هذه المصاعب لخدمة دينها ..

عجباً .. هذا ما تبذله تلك النصرانيات الكافرات .. ليعبد غير الله ..

(إن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ) ..

ويقول آخر ..

كنت في ألمانيا .. فطُرق علي الباب .. وإذا صوت امرأة شابة ينادي من ورائه ..

فقلت لها : ما تريدين ..؟

قالت : افتح الباب .. قلت : أنا رجل مسلم .. وليس عندي أحد .. ولا يجوز أن تدخلي عليَّ ..

فأصرت عليَّ .. فأبيت أن أفتح الباب ..

فقالت : أنا من جماعة شهود يهوه الدينية .. افتح الباب .. وخذ هذه الكتب والنشرات .. قلت : لا أريد شيئاً ..

فأخذت تترجى .. فوليت الباب ظهري .. ومضيت إلى غرفتي ..

فما كان منها إلا أن وضعت فمها على ثقب في الباب ..

ثم أخذت تتكلم عن دينها .. وتشرح مبادئ عقيدها لمدة عشر دقائق ..

فلما انتهت .. توجهت إلى الباب وسألتها : لم تتعبين نفسك هكذا ..

فقالت : أنا أشعر الآن بالراحة .. لأني بذلت ما أستطيع في سبيل خدمة ديني ..

﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ﴾ ..

وأنت .. أفلا تساءلت يوماً ..

ماذا قدمت للإسلام ..

كم فتاة تابت على يدك .. كم تنفقين لهداية الفتيات إلى ربك ..

تقول بعض الصالحات لا أجرؤ على الدعوة .. ولا إنكار المنكرات ..

عجباً !! كيف تجرؤ مغنية فاجرة .. أن تغني أمام عشرة آلاف يلتهمونها بأعينهم قبل آذانهم .. ولم تقل إني خائفة أخجل ..

كيف تجرؤ راقصة داعرة .. أن تعرض جسدها أمام الآلاف .. ولا تفزع وتوجل ..

وأنت إذا أردنا منك مناصحة أو دعوة .. خذلك الشيطان ..

بل بعض الفتيات .. تزين لغيرها المنكرات .. فتتبادل معهن مجلات الفحشاء .. وأشرطة الغناء .. أو تدعوهن إلى مجالس منكر وبلاء ..

وهذا من التعاون على الإثم والعدوان .. والدخول في حزب الشيطان ..

ولتنقلبن هذه المحبة إلى عداوة وبغضاء ..

قال الله : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .. هذا حالهن في عرصات القيامة .. يلبسن لباس الخزي والندامة ..

أما في النار .. فكما قال الله عن فريق من العصاة : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ ..

نعم يلعن بعضهن بعضاً .. تقول لصاحبتها التي طالما جالستها في الدنيا .. وضاحكتها وقبلتها .. تقول لها يوم القيامة : لعنك الله أنت التي أوقعتني في الغزل والفحشاء ..

فتصيح بها الأخرى : بل لعنك الله أنت .. فأنت التي أعطيتني أشرطة الغناء

فتجيبها : بل لعنك الله .. أنت التي زينتي لِيَ التسكع والسفور ..

فترد عليها : بل لعنك الله أنت .. أنت التي دللتني على طرق الفجور ..

عجباً .. كيف غابت تلك الضحكات .. والهمسات واللمسات .. طالما طفتما في الأسواق .. وضاحكتما الرفاق .. واليوم يكفر بعضكن ببعض ويلعن بعضكن بعضاَ ..

نعم .. لأنهن ما اجتمعن يوماً على نصيحة أو خير ..

فهن يوم القيامة يجتمعن .. ولكن أين يجتمعن ؟ في نار لا يخبو سعيرها .. ولا يبرد لهيبها .. ولا يخفف حرها .. إلا أن يشاء الله ..

فأين نساؤنا اليوم ؟

أين نساؤنا عن سير هؤلاء الصالحات ..

أين النساء اللاتي يقعن في المخالفات الشرعية في لباسهن .. وحديثهن .. ونظرهن .. ثم إذا نصحت إحداهن قالت : كل النساء يفعلن مثل ذلك .. ولا أستطيع مخالفة التيار ..

سبحان الله !!

أين القوةُ في الدين .. والثباتُ على المبادئ ..

إذا كانت الفتاة بأدنى فتنة تتخلى عن طاعة ربها .. وتطيع الشيطان .. أين الاستسلام لأوامر الله .. والله تعالى يقول : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ ..

أين تلك الفتيات العابثات .. اللاتي تتعرض إحداهن للعنة ربها ..

فتلبس عباءتها على كتفها .. فيرى الناس تفاصيل كتفيها وجسدها .. إضافة إلى تشبهها بالرجال .. لأن الرجال هم الذين يلبسون عباءاتهم على أكتافهم .. ومن تشبهت بالرجال فهي ملعونة ..

وأين تلك تلك الواشمة .. التي تضع الوشم على وجهها على شكل نقط متفرقة .. أو على شكل رسوم في مناطق من جسدها .. وهذا فعل المومسات .. والنبي ﷺ قد قال : لعن الله الواشمة والمستوشمة ..

بل .. أين تلك المرأة التي تلبس الشعر المستعار .. أو ما يسمى بالباروكة .. والله تعالى قد لعن الواصلة والمستوصلة ..

فهؤلاء النساء ملعونات ..أتدرين ما معنى ملعونة ؟! أي مطرودة من رحمة الله .. مطرودة عن سبيل الجنة ..

أو ترضين أن تطردي عن الجنة .. بسبب شعرات تنتفينها من حاجبيك .. أو عباءة تنزلينـــها علـــى كتفيك .. أو نقاط من وشم في أنحاء جسدك ..

المحرومات ..!!

من اتباع الهوى .. والشيطان .. تكلف الفتاة في تزيين مظهرها .. ولو كان في ذلك التعرض للعنـــة الله ..

ومن ذلك نمص الحواجب وترقيقها.. إما بالنتف أو الحلق ..

وهو تحقيق لوعيد الشيطان لما قال لربه : (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا) ..

والنمص تعرض للعنة الله .. فقد صح عند أبي داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة المغيرات لخلق الله ..

سبحان الله .. كيف تفعلين ما يعرضك للعنة الله .. وأنت تسألين الله المغفرة والرحمـــة في الصـــلاة وخارجها .. أليس هذا تناقضاً بين قولك وفعلك ؟

تطلبين الرحمة وتفعلين ما يطردك منها ..

إن هذا لشيء عجاب !!

وأفتى أهل العلماء الربانيون بتحريمه .. وبين يدي أكثر من عشرين فتوى بتحريمه ..

فمن مقتضى إيمانك بالله .. طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ..

بل إن النمص من التشبه بالكافرات ومن تشبه بقوم فهو منهم .. والله يقـــول يـــوم القيامـــة : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) .. أي أشباههم ونظراءهم .. ومن أحب قوماً حشر معهم ..

ولا تقولي كثيرات يفعلن ذلك ..

فكثيرات أيضاً يعبدن الأصنام .. فهل تعبدين معهن ..

وكثيرات يعلقن الصليب .. فهل تفعلين مثلهن ..

إن كثرة العاصيات لا تعذرك عند الله ..

فأنت مسئولة عن عملك ..

وكما كنت في ظهر أبيك وحدك .. ثم في بطن أمك وحدك .. ثم ولدت وحدك ..

فإنك تموتين وحدك .. وتبعثين يوم القيامة وحدك .. وتمرين على الصراط وحدك .. وتأخذين كتابك وحدك .. وتُسألين بين يدي الله وحدك..

قال الله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ ..

على موج البحر ..

كم من الفتيات المؤمنات .. انجرفت إحداهن مع الأمواج ..

فبدأت تتساهل بالحجاب والعباءة .. وترضى أن تتتبع ما يصنعه المفسدون .. بل يصممه الفجرة والكافرون .. من العباءات التي تظهر الزينة بدل أن تسترها ..

عجباً !! كيف ترضين أن تكوني دمية يلبسونها ما شاءوا ؟

فهذه عباءة مطرزة .. وتلك مخصرة .. والثالثة على الكتفين .. والرابعة واسعة الكُمّين ..

أصبحت أكثر العباءات .. تحتاج إلى سترها بعباءة ..

فالحجاب.. إنما شرع لستر الزينة عن الرجال .. فإذا كان الحجاب في نفسه زينة .. فما الحاجة إليه ..

وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما .. رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس .. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

فمن هي الفتاة التي لا تريد الجنة ولا رائحتها ؟

أما تعلمين .. أنك بتبرجك وسفورك تصبحين وسيلة من وسائل الشيطان ؟

هل ترضين أن تكوني سبباً في وقوع مسلم في الحرام ؟

أتدرين أنك إذا لبست عباءة متبرجة .. ثم رأتك فتاة فاشترت مثلها فلبستها .. أتعلمين أن عليك وزرها ووزر من قلدها هي أيضاً إلى يوم القيامة ..

أيسرك أن تكوني قدوة في الشر ..

تتجملين لمن ؟!

ولو سألت امرأة تزينت بعباءة من هذه الأنواع.. لماذا تلبسين هذه العباءة ؟ لقالت لك : هذه أجمل .. فاسأليها عند ذلك : تتجملين لمن ؟!! نعم تتجملين لمن ؟! لخاطب شريف .. أو زوج عفيف ..

إنها تتزين لينظر إليها سفلة الناس .. ممن لا يلتفتون لمراقبة الله لهم .. ممن لا يهمهم شرفها .. ولا عفتها أو كرامتها .. يسعى أحدهم لشهوة فرجه .. ولذة عينه .. ثم إذا قضى حاجته منها .. ركلها بقدمه .. وبحث عن فريسة أخرى ..

هلا تفكرت يوماً .. لماذا أمرك الله بالحجاب .. نعم لماذا قال الله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ .. لماذا أمرك الله بستر زينتك .. وجهك وشعرك وسائر جسدك ..

لماذا أمرك الله بهذا .. هل بينه وبينك خصام.. أو ثأر وانتقام .. كلا .. فهو الغني عن عباده الذي لا يظلم مثقال ذرة ..

ولكنها سنة الله الباقية .. وشريعته الماضية .. وقوله الذي لا يبدل .. وحكمه الذي يعدل ..

قضى على الرجل بأحكام .. وعلى المرأة بأحكام .. ولا يمكن أن تستقيم الدنيا إلا بطاعته ..

والمرأة الصالحة تسلم لربها في أمره ..

وتأملي فيما رواه مسلم .. من خبر تلك المرأة .. التي جاءت إلى عائشة يوماً فسألتها .. فقالت : ما بال الحائض إذا طهرت من حيضها .. تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟

فعجبت عائشة من سؤالها .. وقالت : أحرورية أنت ؟ أي من الخوارج على الدين ؟

قالت : لست بحرورية .. ولكني أسأل ..

فقالت عائشة : كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله ﷺ .. فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة ..

نعم ..تسليم تام لأوامر الله .. ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ..

نعم .. الفائزون هم الذين يسلمون لله في أمره ..

أما غيرهم .. فهم يسعون جاهدين .. لترع عباءتك .. وهتك حجابك ..

يستميتون لتحقيق غاياتهم .. ينفقون من أموالهم .. ويبذلون من أوقاتهم .. فهذه مجلة سافرة .. وتلك مقالة فاجرة .. وهذا برنامج يشكك في الحجاب ..

يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا ..

يريدون التمتع بالنظر إلى زينتك في أسواقهم .. والأنس برقصك في مسارحهم .. والتلذذ بجسدك على فرشهم .. وبخدمتك لهم في طائراتهم .. فهم في الحقيقة يطالبون بحقوقهم لا بحقوقك ..

عجباً لهم ..!! لم يعرفوا من حقوق المرأة .. إلا حقَّ التبرجِ ونزعِ الحجاب .. وحقَّ قيادة السيارة .. وحقَّ السفر بلا محرم .. وحقَّ العمل ومخالطةِ الرجال .. وحقَّ الخروج في وسائل الإعلام .. إلى آخر تلك الحماقات التي يسمونها حقوقاً ..

تباً لهم ..!! لم نسمعهم يوماً يطالبون بحقوق الأرامل والمعوقات .. أو يطالبون الأبناء بحقوق الأمهات ..

يطالبون بالفساد .. ويظهرون أنهم يريدون رقي المجتمع .. وهذا حال المنافقين .. فهم أحفاد عبد الله بن أبي بن سلول .. رأس المنافقين في عهد رسول الله ﷺ ..

ألم تري أنه اتهم أمنا عائشة رضي الله عنها بالزنا .. وأشاع المقالة ورددها بين الناس .. وزعم أنه يريد إشاعة الفضيلة .. وهو في الحقيقة أستاذ الرذيلة .. وموقد نارها .. ألا ترين أنه كان يشتري الإماء الجميلات ثم يأمرهن بالبغاء والزنا .. ليجمع المال من ذلك .. حتى فضحه الله في القرآن بقوله تعالى : ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ..

فهم يرددون .. العباءة على الرأس تضايقك .. والثوب الطويل يثقل عليك .. والبنطال أسهل لمشيك .. وتغطية الوجه تكتم أنفاسك ..

قوم أعجبوا بحضارة الكفار .. فظنوا أن الطريق إليها نزع الحجاب .. وتشمير الثياب ..

وإن جولة واحدة في إحدى مدن الغرب أو الشرق تكفي لإدراك هذه الحقيقة .. فالمرأة تشتغل حمالة حقائب في المطار .. وعاملة نظافة في الطريق .. ومنظفة حمام في الشركة ..

وإن كانت جميلة .. اشتغلت في مرقص أو بار .. فهذا سكير يعربد بها .. وذاك فاجر يعبث بجسدها .. والثالث يتخذها سلعة يتكسب منها .. فإذا قضوا حاجتهم منها صفعوا وجهها ..

وإذا كبرت ألقيت في دار العجزة التي هي أشبه بالسجون .. بل بالمقابر ..

عجباً .. أهذه هي الحرية التي يعنونها ..
والله لإن كنا نتألم لمصاب مسلمة في الفلبين .. وأخرى في كشمير ..
فإن المرأة هناك لا تجد من يتألم لها ..

هل تريدين الجمال ؟!

ليس الجمال بالتعرض للعنة الله وسخطه ..
بل الجمال الحقيقي هو ما يكون بطاعة الله ..
ويكمل الجمال ويزين .. للمؤمنات في الجنة ..
فإذا كان الله تعالى قد وصف الحور العين بما وصف ..
وهن لم يقمن الليل .. ولم يصمن النهار .. ولم يصبرن عن الشهوات ..
فما بالك بجمالك أنت .. وحسنك .. وبهائك ..
وأنت التي طالما خلوت بربك في ظلمة الليل .. يسمع نجواك .. ويجيب دعاك .. طالما تركت لأجل رضاه اللذات .. وفارقت الشهوات ..
فيا بشراك وقد تلقتك الملائكة عند الأبواب .. تبشرك بالنعيم وحسن الثواب .. وقد ازددت جمالاً فوق جمالك ..
﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنـــات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ ..

أنت ملكة .. ملكة ..

يقول أحد الأطباء :

كنت أدرس في بريطانيا ..

وكانت جارتنا عجوزاً يزيد عمرها على السبعين عاماً ..

كانت تستثير شفقة كل من رآها .. قد احدودب ظهرها .. ورق عظمها .. ويبس جلها ..

ومع ذلك .. فهي وحيدة بين جدران أربعة ..

تدخل وتخرج وليس معها من يساعدها من ولد ولا زوج ..

تطبخ طعامها .. وتغسل لباسها ..

منزلها كأنه مقبرة .. ليس فيه أحد غيرها .. و لا يقرع أحد بابَها ..

دعتها زوجتي لزيارتنا ذات يوم ..

فأخبرها زوجتي بأن الإسلام يجعل الرجل مسئولاً عن زوجته .. يعمل من أجلها .. يبتاع طعامها ولباسها ..

يعالجها إذا مرضت .. ويساعدها إذا اشتكت ..

وهي تجلس في بيتها .. تجب عليه نفقتها ورعايتها .. بل وحماية عرضها ونفسها ..

فإذا رزقت بأولاد .. وجب عليهم هم أيضاً برها .. والذلة لها ..

ومن عقها من أولادها نبذه الناس وقاطعوه حتى يبُرّها ..

فإن لم تكن المرأة ذات زوج وجب على أبيها أو أخيها .. أو وليها .. أن يرعاها ويصونها ..

كانت هذه العجوز .. تستمع إلى زوجتي .. بكل دهشة وإعجاب ..

بل كانت تدافع عبراتها وهي تتذكر أولادها وأحفادها الذين لم ترهم منذ سنوات .. ولا يزورها أحد منهم .. بل لا تعرف أين هم ..

وقد تموت وتدفن أو تحرق وهم لا يعلمون .. لأنها لا قيمة لها عندهم ..

أنهت زوجتي حديثها .. فبقيت العجوز واجمة قليلاً .. ثم قالت :

في الحقيقة .. إن المرأة في بلادكم : ملكة .. ملكة ..

نعم والله .. أيتها الأخت الكريمة أنت عندنا ملكة ..

نعم ملكةٌ تسفك من أجلك الدماء .. فمن قتل دون عرضه فهو شهيد ..
وترخص لأجلك الأرواح .. وتنفق الأموال ..
ولأنك ملكة مصونة أمر الرجال حولك أن يحفظوك ..

ألحان وأشجان ..!!

بعض الفتيات قد يجرها الشيطان .. إلى سبيل الرذيلة .. بسماع الغناء .. والتعلق بالفحشاء ..
وقد قال تعالى : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) كان ابن مسعود رضي الله عنه يقسم بالله أن المراد به الغناء ..
وفي الصحيح قال ﷺ : " ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف " ..
وصح عند الترمذي .. أنه ﷺ قال :" ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف " ..
ونص العلماء على تحريم آلات اللهو والعزف .. والتحريم يشتد والذنب يعظم إذا رافق الموسيقى غناء ..
وتتفاقم المصيبة عندما تكون كلمات الأغاني عشقاً وحباً وغراماً ووصفاً للمحاسن ..
بل هي مزمار الشيطان.. الذي يزمر به فيتبعه أولياؤه.. قال تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾.. وقال ابن مسعود : الغناء رقية الزنا.. أي أنه طريقُه ووسيلتُه..
عجباً.. هذا كان يقوله ابن مسعود لما كان الغناء يقع من الجواري والإماء المملوكات.. يوم كان الغناء بالدفّ والشعر الفصيح.. يقول هو رقية الزنا..
فماذا يقول ابن مسعود لو رأى زماننا هذا.. وقد تنوّعت الألحان.. وكثر أعوان الشيطان.. فأصبحت الأغاني تسمع في السيارة والطائرة.. والبر والبحر..
بل حتى الساعات والأجراس وألعاب الأطفال والكمبيوتر وأجهزة الهاتف .. دخلت فيها الموسيقى ..

رقية الزنا !!

والأغاني طريق لنشر الفاحشة .. وإثارة الغرائز .. فما يكاد يُذكر فيها إلا الحب والغرام.. والعشق والهيام..

بالله عليك ..

هل سمعت مغنياً غنى في التحذير من الزنا ؟ أو غض البصر ؟

أو حفظ أعراض المسلمين ؟!! أو في الحث على صوم النهار .. وبكاء الأسحار ..

كلا.. ما سمعنا عن شيء من ذلك..

بل أكثرهم يدعو إلى العشق المحرم .. وتعلق القلب بغير الله ..

بل قد يجر إلى الداهية العظمى .. وهو عشق الفتاة لفتاة مثلها .. و الإعجاب بها .. ومصاحبتها ..

نعم .. تحبها .. لا لأنها قوامة ليل .. أو صوامة نهار .. لا ولكن لجمال وجهها .. وملاحة بسمتها ..

تعجبها حركاتها .. وتثيرها ضحكاتها ..

تفتن بابتسامتها .. وتأنس بمجالستها ..

بل.. وتعجب منها بكل شيء وإن كان قبيحاً ..

وبعض الفتيات قد تتساهل بمثل ذلك.. بل قد يظهر منها ما يدلّ على استدعائها لذلك..

فكم نرى من الفتيات المائعات في حركاتهن وضحكاتهن .. بل وأسلوب الكلام.. وطريقة المشي..

إضافة إلى لبس الثياب الضيقة .. والتغنج والدلال .. وكثرة اللمسات والقبلات .. وتبادل الرسائل العاطفية .. والهدايا الشيطانية ..

نرى أحياناً هذه المظاهر في بعض المدارس .. والكليات ..

فلماذا تفعل الفتاة ذلك .. بسبب الإعجاب والعشق والمحبة ..

وهذا هو الشذوذ عن الفطرة .. وهو مؤذن بنزول العذاب الذي نزل على قوم لوط ..

فماذا فعل قوم لوط ؟

اكتفى رجالهم برجالهم .. ونساؤهم بنسائهم ..

وقد ذكر الله خبر هؤلاء الفجار في القرآن .. وأن لوطاً صاح بهم وقال ﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ ..

وإذا وقعت هذه الفاحشة.. كادت الأرض تميد من جوانبها.. والجبال تزول عن أماكنها..

ولم يجمع الله على أمة من العذاب ما جمع على قوم لوط.. فإنه طمس أبصارهم.. وسوّد وجوههم.. وأمر جبريل بقلع قراهم من أصلها ثم قلبها عليهم.. ثم خسف بهم.. ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل..

قال عز من قائل : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴾..

فجعلهم آية للعالمين.. وموعظة للمتقين.. ونكالا للمجرمين..

إن في ذلك لآيات للمتوسمين..

أخذهم على غرة وهم نائمون.. فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون..

نعم.. ذهبت اللذات.. وأعقبت الحسرات.. وانقضت الشهوات..

تمتعوا قليلاً.. وعذبوا طويلاً.. وأعقبهم عذابا أليماً..

ندموا والله ولا ينفع الندم.. وبكوا بدل الدموع الدم..

فلو رأيتهم والنار تشوي وجوههم..

وتخرج من أفواههم وأنوفهم..

وهم بين أطباق الجحيم.. يشربون كؤوس الحميم..

ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون.. ذوقوا ما كنتم تكسبون..

﴿ إصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾

وما هي من الظالمين ببعيد..

أما رسول الله ﷺ فقد صح عنه فيما رواه الترمذي : (إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط ..)

وصح فيما رواه ابن حبان : (لعن الله من عمل عمل قوم لوط.. لعن الله من عمل عمل قوم لوط.. لعن الله من عمل عمل قوم لوط)..

وصحّ في مسند أحمد أنه ﷺ قال : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)..

أما الصحابة فكانوا يحرقون اللوطية بالنار..

وقال ابن عباس رضي الله عنه : اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيراً..

ومن كانت قد أسرفت على نفسها .. ووقعت في شيء من ذلك.. فلتسارع إلى التوبة والاستغفار.. والإنابة إلى العزيز الغفار..

نعم .. توبي إلى الله .. مزقي ما عندك من رسائل وأرقام .. وأتلفي الصور والأشرطة والأفلام .. أثبتي أن حبك للرحمن أعظم من كل حب .. أثبتي أنك تقدمين طاعة الله على طاعة الهوى والشيطان ..

فأين تلك المسكينة ..!!

التي تعرض عن سماع السور والآيات .. وتستمع إلى المعازف والأغنيات .. فتتعرض لعـــذاب الله .. وتحرم من سماع الغناء في الجنة .. سبحان الله .. ما كفاك القرآن وسماعُه .. فتركتيه وبحثت عن الغناء .. قال محمد ابن المنكدر : إذا كان يوم القيامة نادى مناد :

أين الذين كانوا يتزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان ؟!

أسكنوهم رياض المسك .. ثم يقول الله للملائكة : اسمعوهم تمجيدي وتحميدي ..

وعن شهر بن حوشب : إن الله جل ثناؤه يقول لملائكته :

إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي .. فأسمعوا عبادي .. فيأخـــذون بأصوات من تسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط ..

قاتل ومقتول !!

وأنا عندما أكتب إليك هذه الكلمات .. أعلم بانك أرفع من أن تستمعي إلى الغناء .. أو تقعـــي في الفحشاء ..

لكني أريدك أن تكوني داعية لغيرك .. آمرة بالمعروف .. ناهية عن المنكر ..

كوني شجاعة .. نعم شجاعة .. ولا يخذلك الشيطان ..

صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ .. عجوز قد جاوز عمرها الستين سنة .. ولكن لها بطولات وأعاجيب ..

لما اجتمع الكفار من قريش وغيرها .. وتآمروا على غزو المدينة .. حفر المسلمون خندقاً في جهة من جهات المدينة .. وكانت الجبال تحيط ببقية الجهات ..

وكان عدد المسلمين قليلاً .. فاستنفرهم النبي ﷺ للرباط أمام الخندق لصدّ من يتسلل إليهم من الكفار ..

أما النساء والصبيان فقد جمعهم النبي ﷺ في حصن منيع .. ولم يترك عندهم من يحرسهم .. لقلة المسلمين وكثرة الكفار ..

وبينما النبي ﷺ منشغل مع أصحابه في القتال عند الخندق .. تسلل جمع من اليهود حتى وصلوا إلى الحصن .. ثم لم يجرؤا على الدخول خشية من وجود أحد من المسلمين ..

فاصطفوا خارج الحصن .. وأرسلوا واحداً منهم يستطلع لهم الأمر .. فجعل هذا اليهودي يطوف بالحصن .. حتى وجد فرجة فدخل منها .. وجعل يبحث وينظر .. فرأته صفية ﷺ .. ففزعت وقالت في نفسها :

هذا اليهودي يطوف بالحصن .. وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود .. وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه.. وإن صرخت فزعت النساء والصبيان .. وعلم اليهودي أن لا رجال في الحصن ..

فتناولت سكيناً وربطتها في وسطها .. ثم أخذت عموداً من خشب ..

ونزلت من الحصن إليه وتحينت منه التفاتة .. فضربته بالعمود على أم رأسه .. حتى قتلته .. فلما خمد .. تناولت سكيناً ..

فلله درّ صفية .. تلك العابدة التقية ..

تأملي في جرأها وبذلها نفسها لخدمة الدين ..

فكم تبذلين أنت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

كم ترين في المجالس من النامصات .. وفي الأسواق من المتبرجات .. وفي الأعراس من المتعريات .. فماذا فعلت تجاههن ؟!

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ ..

ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحق اللعنة ..

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بمـــا عصـــوا وكـــانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ ..

ولا تخجلي من ذلك فالدعوة تحتاج إلى جرأة في أولها .. ثم تفرحين بآخرها ..

العروس ..!!

والصالحات القابضات على الجمر .. إذا أتى إحداهن الأمر من الشريعة .. أطاعت .. وسلّمت .. وأذعنت .. ولم تعترض .. أو تخالف .. أو تبحث عن مخارج .. وتأملي في خبر تلك الفتاة العفيفة الشريفة .. العروس ..

كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له : جليبيب في وجهه دمامة .. فعرض عليه رسول الله التزويج .. فقال : إذا تجدني كاسداً ..

فقال : غير أنك عند الله لست بكاسد ..

فلم يزل النبي ﷺ يتحين الفرص لتزويج جليبيب ..

حتى جاء رجل من الأنصار يوماً يعرض ابنته الثيب على رسول الله ﷺ .. ليتزوجها .. فقال ﷺ : نعم يا فلان .. زوجني ابنتك ..

قال : نعم ونعمين .. يا رسول الله ..

فقال ﷺ : إني لست أريدها لنفسي .. قال : فلمن ؟ قال : لجليبيب ..

قال : جليبيب !! يا رسول الله !! حتى استأمر أمها ..

فأتى الرجل زوجته فقال : إن رسول الله يخطب ابنتك ..

قالت : نعم .. ونعمين .. زوِّج رسول الله ﷺ .. قال : إنه ليس يريدها لنفسه .. قالت : فلمن ؟ قال : يريدها لجليبيب ..

قالت : حلقى لجليبيب .. لا لعمر الله لا أزوج جليبيباً .. وقد منعناها فلاناً وفلاناً .. فاغتم أبوها لذلك .. وقام ليأتي رسول الله ﷺ ..

فصاحت الفتاة من خدرها بأبويها : من خطبني إليكما ؟

قالا : رسول الله ﷺ ..

قالت : أتردان على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعاني إلى رسول الله ﷺ .. فإنه لن يضيعني .. فكأنما جلَّت عنهما ..

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله .. شأنك بها فزوِّجها جليبيباً .. فزوجها النبي ﷺ جليبيباً ..

ودعا لها وقال : اللهم صب عليهما الخير صباً .. ولا تجعل عيشهما كداً كدّاً ..

فلم يمض على زواجه أيام .. حتى خرج النبي ﷺ في غزوة .. وخرج معه جليبيب .. فلما انتهى القتال .. وبدأ الناس يتفقد بعضهم بعضاً ..

سألهم النبي ﷺ : هل تفقدون من أحد قالوا : نفقد فلانا وفلانا ..

ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : نفقد فلانا وفلانا ..ثم قال : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : نفقد فلاناً وفلاناً ..قال : ولكني أفقد جليبيباً ..

فقاموا يبحثون عنه .. ويطلبونه في القتلى .. فلم يجدوه في ساحة القتال ..

ثم وجدوه في مكان قريب .. إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم قتلوه .. فوقف النبي ﷺ ينظر إلى جثته ..

ثم قال : قتل سبعة ثم قتلوه .. قتل سبعة ثم قتلوه .. هذا مني وأنا منه ..

ثم حمله رسول الله ﷺ على ساعديه .. وأمرهم أم يحفروا له قبره ..

قال أنس : فمكثنا نحفر القبر .. وجليبيب ماله سرير غير ساعدي رسول الله ﷺ ..حتى حفر له ثم وضعه في لحده ..

قال أنس : فوالله ما كان في الأنصار أيم أنفق منها ..

تسابق الرجال إليها كلهم يخطبها بعد جليبيب ..

﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ ..

والنبي ﷺ يقول كما في الصحيح : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) ..

أيهما أحب إليك ؟!

فأين تلك الفتيات الصالحات .. اللاتي تقدم إحداهن محبة الله ورسوله على هواها .. فإذا سمعت الأمر من الله تعالى قدمته على أمر كل أحد .. بل قدمته على ما تزينه لها صديقاتها .. أو توسوس به لها نفسها ..

قالت عائشة ﵂ كما عند أبي داود :

والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار .. أشدَّ تصديقاً بكتاب الله .. ولا إيماناً بالتنزيل ..

لقد أنزل في سورة النور قوله تعالى في الأمر بحجاب المؤمنات ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن ﴾ .. فسمعها الرجال من رسول الله ﷺ .. ثم انقلبوا إليهن .. يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها

.. يتلو الرجل على امرأته .. وابنته .. وأخته .. وعلى كل ذات قرابته ..

فما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرطها – وهو كساء من قماش تلبسه النساء – .. فاعتجرت به .. – لفته على رأسها – ..

وقامت بعضهن إلى أزرهن فشققنها واختمرن بها ..

أي الفقيرة التي لم تجد قماشاً تستر به وجهها .. أخذت إزارها وهو ما يلبس من البطن إلى القدمين ثم شقت منه قطعة غطت بها وجهها ..

تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه ..

قالت عائشة : فأصبحن وراء رسول الله معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان ..

الله أكبر .. هذا حال المرأة في ذلك الزمان .. في تغطيتها لوجهها .. وسترها لزينتها .. تتستر حتى لا يراها الرجال ..

هل تدرين من هي هذه المرأة التي أمرت بالتستر ..

إنها عائشة أم المؤمنين .. وفاطمة بنت رسول الله ﷺ .. وأسماء بنت أبي بكر .. وغيرهن من الصالحات التقيات ..

وهل تدرين يسترن زينتهن عن من .. عن أبي بكر .. وعمر .. وعثمان .. وعلي .. وغيرهـــم مـــن الصحابة .. أزكى رجال الأمة .. وأعفُهم وأطهرُهم .. ومع ذلك أمرت النساء بالتستر مع صـــلاح ذلك المجتمع ..

بل قد نهى الله أبا بكر .. وعمر .. وطلحة .. والزبير .. والصحابة جميعاً عن الاختلاط بالنســـاء .. فقال :

﴿ وإذا سألتموهن متاعاً ﴾ يعني إذا سألتم أزواج النبي وهن أطهر النساء .. ﴿ فاسألوهن من وراء حجاب ﴾ .. لماذا ..؟؟

﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ ..

فكيف الحال اليوم مع نسائنا .. ورجالنا .. وقد فسد الزمان ؟

ماذا نقول لنساء جريئات .. تحادث إحداهن البائع في السوق بكل طلاقة لسان .. وكأنه زوجُها أو أخوها ..

بل قد تضاحكه وتمازحه .. ليخفض لها في السعر ..

مع لبسها للنقاب الواسع ..

وقد تزيد على ذلك الخلوة بالسائق .. وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ..

وكل هذه المعاصي هي تعلم أنها معاصٍ .. لكنها مع ذلك تقدم عليها بنعم أعطاها الله لها .. فتعصي الله بنعمته .. وكأن ربها عاجز عن عذابها ..

سبحان الله .. لو شاء الله لسلب منك هذه النعم التي تعصينه بها !!

اذهبي إلى مستشفى النقاهة وانظري أحوال النساء التي فقدن العافية ..

اذهبي إلى هناك .. لتري فتيات في عمر الزهور ..

لا يتحرك في الواحدة منهن إلا عيناها ..

أما بقية جسدها فمشلول شلل كلّي .. لو قطعت رجلاها ويداها بالسكاكين لما أحست بشـــيء ..

نسأل الله لهن الشفاء والعافية .. والأجر العظيم ..

كل واحدة منهن .. تتمنى لو تتحكم ولو .. بإخراج البول والغائط ..

بل لا تدري إحداهن أنه قد خرج منها بول أو غائط إلى إذا شمت الرائحة .. يُلْبَسْنَ حفائظ علــى عوراهن كالأطفال ..

وتبقى الحفائظ على بعضهن ثلاثة أيام وأربعة ..

قد كانت مثلك .. تأكل وتشرب .. وتضحك وتلعب .. وتتمشى في الأسواق .. وفجأة .. ودون سابق تحذير .. أصيبت بحادث سيارة .. أو جلطةٌ في القلب أو الدماغ ..

والنتيجة .. صارت حية في صورة ميتة .. عشر سنين .. وعشرين سنة .. وثلاثين ..

﴿ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون * قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ ..

ولا يعني أن كل من أصابها مرض فإن ذلك يكون عقوبةً وجزاء ..

كلا .. ولكن .. لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ..

في ميدان السباق ..!!

المؤمنات .. يتسابقن إلى الأعمال الصالحات .. صغيرها وكبيرها .. ولهن في كل ميدان سهم .. ولا تعلمين ما هو العمل الذي به تدخلين إلى الجنة ..

فلعلَّ شريطاً توزعينه في مدرسة ..

أو نصيحةً عابرة تتكلمين بها .. يكتب الله بها لك رضاه ومغفرتَه ..

ولقد .. أخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين :

أن امرأة بغياً من بني إسرائيل كانت تمشي في صحراء ..

فرأت كلباً بجوار بئر يصعد عليه تارة .. ويطوف به تارة ..

في يوم حار قد أدلع لسانه من العطش .. قد كاد يقتله العطش ..

فلما رأته هذه البغي ..

التي طالما عصت ربها .. وأغوت غيرها .. ووقعت في الفواحش .. وأكلت المال الحرام .. لما رأت هذا الكلب .. نزعت خفها .. حذاءها ..

وأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء .. وسقته ..

فغفر الله لها بذلك .. الله أكبر .. غفر الله لها .. بماذا ..؟

هل كانت تقوم الليل وتصوم النهار ؟! هل قتلت في سبيل الله ؟!

كلا .. وإنما سقت كلباً شربةً من ماء .. فغفر الله لها ..

وروى مسلم عن عائشة ﷺ أنها أخبرت عن :

امرأة مسكينة جاءتها .. تحمل ابنتين لها .. فقالت : يا أم المؤمنين .. والله ما دخل بطوننا طعام منذ ثلاثة أيام ..

فبحثت عائشة في بيت النبي ﷺ فلم تجد إلا ثلاث تمرات ..

فأعطتها الثلاث تمرات .. ففرحت المسكينة بها .. وأعطت كل واحدة من الصغيرتين تمرة .. ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ..

فكانت البنتان لفرط الجوع .. أسرعَ إلى تمرتيهما من الأم إلى تمرتها ..

فرفعتا أيديَهما تريدان التمرة التي بيد الأم ..

فنظرت الأم إليهما .. ثم شقت التمرة الباقية بينهما ..

قالت عائشة : فأعجبني حنانها .. فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال : إن الله قد أوجب لها بها الجنة .. أو أعتقها بها من النار ..

فالقابضات على الجمر يتسابقن إلى الطاعات .. وإن كانت يسيرة صغيرة .. والأعظم من ذلك هو الحذر من المعاصي ..

وعدم التساهل بها .. فقد قال تعالى عن قوم تساهلوا بالمعاصي وتصاغروها : ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ ..

وأخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين .. أنه رأى امرأة تعذب في النار ..

فما الذي أدخلها إلى النار ؟

هل سجدت لصنم ..؟ هل قتلت نبياً ؟ .. هل سرقت أموال الناس .. ؟ كلا ..دخلت امرأة النار في هرة .. سجنتها .. فلا هي أطعمتها .. ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً ..

قال ﷺ : فلقد رأيتها في النار والهرة تخدشها ..

وروى البخاري .. أنه قيل للنبي ﷺ :

يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ..

وتفعل .. وتصدق .. لكنها .. تؤذي جيرانها بلسانها ؟

فقال رسول الله ﷺ : لا خير فيها .. هي من أهل النار ..

قالوا : وفلانة تصلي المكتوبة .. وتصدق بأثوار – يعني بأجزاء يسيرةٍ من الطعام – ولا تؤذي أحداً ..

فقال رسول الله ﷺ : هي من أهل الجنة ..

الحرب !!

هل تعلمين ؟؟

أن الحرب الموجهة إليك حرب ضروس يريدون منها استعبادك .. وهتك عرضك .. باسم الحرية والمساواة ..

فما معنى الحرية التي يدعوا إليها المفسدون ؟ ..

ولماذا لا يدعون إلى تحرير العمال المظلومين .. والضحايا المنكوبين .. والأيتام المنبوذين ..

لماذا يصرون على أن المرأة العفيفة .. التي تعيش في ظل وليها .. ولو مدَّ أحد العابثين يده إليها .. لما عادت إليه يده .. لماذا يصرون دائماً على أن هذه المرأة تحتاج إلى تحرير ..

هل ارتداء المرأة للعباءة والحجاب لتحمي نفسها من النظرات المسعورة .. يعدُّ عبودية تحتاج أن تحرر المرأة منها ..؟؟

هل تخصيص أماكن معينةٍ لعمل المرأة .. بعيدةٍ عن مخالطة الرجال .. هو عبودية وذلٌ للمرأة .. ؟

هل تربية المرأة لأولادها .. ورأفتها ببناتها .. وقرارها في بيتها .. هو عبودية تحتاج إلى تحرير ..؟؟

ثم .. لماذا نجد أن أكثر من يتنابحون ويدعون إلى تحرير المرأة .. وتكشفها لهم .. ويزعمون أن حجابها قيد وغلٌ لا بدَّ أن تتحرر منه .. لماذا نجد أن أكثر هؤلاء هم ليسوا من العلماء .. ولا من المصلحين .. وإنما أكثرهم من الزناة .. وشراب الخمور .. وأصحاب الشهوات المسعورة ؟؟

فلماذا يدعوا هؤلاء إلى تحرير المرأة ؟

لماذا يستميتون لإخراج العفيفة من بيتها .. لماذا ؟؟ الجواب واضح ..

اشتهوا أن يروها متعرية راقصة فزينوا لها الرقص .. فلما تعرّت وتبذلت .. وأصبحت تلهو وترقص في المسارح .. أرضوا شهواتهم منها .. ثم صاحوا بها وقالوا : قد حرّرناك ..

واشتهوا أن يتمتعوا بها متى شاءوا .. فزينوا لها مصاحبة الرجال .. ومخالطتهم .. حتى حوّلوهـــا إلى حمام متنقل .. يستعملونه متى شاءوا .. على فرشهم .. وفي حدائقهم .. وباراتهم .. وملاهـــيهم .. فلما تهتكت وتنجّست .. صاحوا بها وقالوا : قد حرّرناك ..

خدعوها بقولهم حسناء   والغواني يغرّهن الثناء

واشتهوا أن يروها عارية على شاطئ البحر .. وساقيةً للخمر .. وخادمةً في طائرة .. وصديقة فاجرة .. فزينوا لها ذلك كلَّه وأغروها بفعله ..

فلما ولغت في مستنقع الفجور .. تضاحكوا بينهم وقالوا : هذه امرأة متحررة .. فمن ماذا حرّروها ؟

عجباً .. هل كانت في سجن وخرجت منه إلى الحرية ؟

هل الحرية في تقصير الثياب .. ونزع الحجاب ..

أم الحرية في التسكع في الأسواق .. ومضاجعة الرفاق ..

هل الحرية في مكالمة شاب فاجر .. أو الخلوة بذئب غادر ..

أليس الحرية الحقيقية .. والسيادة النقية .. هي أن تكوني عفيفة مستترة ..

أبوك يرأف عليك .. وزوجك يحسن إليك ..

وأخوك يحرسك بين يديك .. وولدك ينطرح على قدميك ..

وهذه هي الكرامة العظيمة التي أرادها الله تعالى لك ..

سفيرة النساء ..!!

والمجتمع قسمان .. داخلي وخارجي .. فالرجل يقوم على القسم الخارجي فيعمل ويكتسب .. ويبني البيت .. ويعالج المريض .. ويطعم الجائع .. ويقود السيارة .. ويبيع ويشتري ..

والمرأة تربي الأولاد .. وتقوم على حاجة البيت .. ولا يصح الخلط بينهما .. بل كل فيما يخصه ..

ألا تري إلى ما أخرجه البيهقي في الشعب : أن أسماء بنت يزيد أتت النبي ﷺ .. وهو بين أصـــحابه فقالت : بأبي أنت وأمي .. إني وافدة النساء إليك .. واعلم – نفسي لك الفداء – أما إنه ما مـــن امرأة كائنة في شرق ولا غرب .. سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع .. إلا وهي على مثل رأيي ..

إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء .. فآمنا بك .. وبإلاهك الذي أرسلك .. وإنا معشر النساء محصورات مقصورات .. قواعد بيوتكم .. ومقضى شهواتكم .. وحاملات أولادكم ..

وإنكم معاشر الرجال .. فضلتم علينا بالجمعة والجماعات .. وعيادة المرضى .. وشهود الجنـــائز .. والحج بعد الحج .. وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ..

وإن الرجل منكم إذا أخرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً .. حفظنا أموالكم .. وغزلنـــا أثـــوابكم .. وربينا أولادكم ..

فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟

قالوا : لا ..

فالتفت ﷺ إليها ثم قال لها : انصرفي أيتها المرأة .. وأعلمي من خلفك من النساء .. أن حسن تبعل إحداكن لزوجها .. وطلبها مرضاته .. واتباعها موافقته .. تعدل ذلك كله ..

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر .. فرحاً واستبشاراً ..

نعم كلٌ في مجاله .. المرأة مملكتها بيتها .. فهي فيه ملكة .. وزوجها ملك .. وأبناؤهم الرعية ..

ولكن قد تخرق هذه القاعدة .. عند الحاجة ..

بطولات .. أم عمارة ..

في طبقات ابن سعد .. أن أم عمارة رضي الله عنها خرجت مع جيش المسلمين إلى معركة أحد .. تسقي الماء وتداوي الجرحى .. لكنها لما اشتد القتال .. وفرت جموع من المسلمين ..

فنظرت أم عمارة .. فرأت المسلمين يفرون .. والكفار يصولون ويجولون .. وما ثبت إلا رسول الله ﷺ يضارب بسيفه .. وليس حوله إلا عشرة من أصحابه .. فسلت سيفاً .. ثم أقبلت تشتد حتى وقفت بين يدي النبي ﷺ .. تذب عنه .. والناس يمرون به منهزمين .. وهي ليس معها ترس تدفع عن نفسها ضرب السيوف ..

فمر رجل معه ترس .. فقال له ﷺ : ألق ترسك إلى من يقاتل .. فألقى الرجل ترسه .. فأخذته أم عمارة فجعلت تترس به عن رسول الله ﷺ .. ووقفت على قدميها تقاتل ..

فأقبل رجل على فرس فضربها بالسيف فاتقته بترسها .. فلم يصنع سيفه شيئاً .. وولى الرجل فضربت عرقوب فرسه .. فوقع على ظهره .. وهجمت عليه .. فجعل النبي ﷺ يصيح بابنها : أمَّك أمك .. فأقبل ولدها فعاونها عليه حتى قتلته ..

وفي هذه الأثناء .. أقبل فارس من الكفار .. إلى ولدها بين يديها .. فضربه على كتفه الأيسر .. فكادت يده أن تسقط من أصلها .. وجعل الدم يترف .. فالتفت إليه النبي ﷺ فرأى الدماء تجري على ثيابه .. فصاح به وقال : اعصب جرحك ..

فأخرجت أم عمارة .. خرقاً قد أعدتها للجرحى .. فربطت جرح ولدها .. والنبي ﷺ ينظر إليهما .. فلما أحكمت جرحه .. ضربت كتفه وقالت : انهض بُنيَّ فضارب القوم ..

فعجب النبي ﷺ من صبرها وأخذ يقول : ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ..

وفجأة أقبل عليها الرجل الذي ضرب ابنها .. فقال ﷺ : هذا ضارب ابنك يا أم عمارة ..

فاعترضت له فضربت ساقه فبرك على الأرض وهو ينتفض .. فأقبلت تضربه بالسيف حتى مات ..

فقال ﷺ : الحمد لله الذي أظفرك .. وأقر عينك من عدوك .. وأراك ثأرك بعينك ..

ثم أقبل عليها أحد الكفار فضربها على عاتقها ضربة غرت في جسدها .. والنبي ﷺ .. يضارب القوم ويلتفت إليها .. فلما رأى جرحها .. صاح بولدها قال :

أمك .. أمك .. اعصب جرحها .. بارك الله عليكم من أهل البيت .. مقام أمك خير من مقام فلان وفلان .. رحمكم الله أهل البيت .. ومقام زوج أمك خير من مقام فلان وفلان .. رحمكم الله أهـــل البيت ..

فالتفتت إليه أم عمارة وقالت وهي تصارع ألمها :

ادع الله أن نرافقك في الجنة .. فقال : اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة ..

قالت أم عمارة : فما أبالي ما أصابني من الدنيا ..

فكان ﷺ يقول بعدها : عن يوم أحد : ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أرى أم عمارة تقاتل دوني ..

نعم جرحت أم عمارة بأحد اثني عشر جرحاً .. وشهدت بعدها قتال مسيلمة الكذاب .. فجرحت أحد عشر جرحا .. وقطعت يدها ..

فرضي الله عنها .. تعلم أن الأصل بقاؤها في بيتها ترعى أولادها .. ولكن لما احتاج إليهـــا الـــدين نصرته بجسدها كما نصرته بمالها ..

وكذلك الرجل .. الأصل أنه يكدح خارج البيت ويرتاح داخله .. ولكن قد تخرق هذه القاعدة .. فهذا رسول الله ﷺ أحياناً .. كان يخصف نعله .. ويفلي ثوبه .. ويكون في حاجة أهله ..

ما أغلاك عندنا !!

نعم .. لأنك عندنا غالية ..

فقد أوصى الله بك أباك وأمك :

فقال ﷺ فيما رواه مسلم : (من عال جاريتين حتى تبلغا .. جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه) ..

وأوصى بك أولادك فقال ﷺ كما في الصحيحين .. للرجل الذي سأله فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

قال : أمك .. ثم أمك .. ثم أمك .. ثم أبوك ..

بل أوصى النبي ﷺ بالمرأة زوجها .. وذمّ من غاضب زوجته أو أساء إليها .. فعند مسلم والترمذي ..

أن النبي ﷺ قام في حجة الوداع .. فإذا بين يديه مائةُ ألف حاج ..

فيهم الأسود والأبيض .. والكبير والصغير .. والغني والفقير ..

صاح ﷺ بهؤلاء جميعاً وقال لهم :

ألا واستوصوا بالنساء خيراً .. ألا واستوصوا بالنساء خيراً ..

وروى أبو داود وغيره ..

أنه في يوم من الأيام أطاف بأزواج رسول الله ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن ..فلما علم النبي ﷺ بذلك .. قام .. وقال للناس :

لقد طاف بآل محمد ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن .. ليس أولائك بخياركم .. وصحّ عند ابن ماجة والترمذي أن النبي ﷺ قال :

(خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيركم لأهلي) ..

مسك .. وعنبر ..

قد يدقق الرجل على امرأته .. فيأمرها أو ينهاها .. وهو إنما يريد نجاتها ..

وانظري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. وقد جيئ إليه بمسك وعنبر من مصر .. ليبيعه ويجعل ثمنه في بيت مال المسلمين .. فقال رضي الله عنه : وددت أني وجدت امرأة جيدة الوزن .. تكسر هذا الطيب وتبيعه وتجعل المال في بيت مال المسلمين .. فقالت امرأته : أنا أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ..

قال : فافعلي ..

فأخذت النساء تأتيها .. وتكسر العنبر بيدها وتزن لهن وتبيع .. فكانت إذا التصق بيدها شيء من الطيب مسحته بخمارها ..

فلما أقبل عمر في الليل .. ناولته المال .. فلما دنا منها .ز شم فيها طيباً .. فقال : أشـــتريت مـــن الطيب .؟ قالت : لا .. قال : فمن أين هذه الريح ؟ قالت : كان يبقى في أصابعي فأمسحه بخماري ..

فقال : سبحان الله .. النساء يشترين بأموالهن .. وأنت تتطيبين من مال المسلمين .. ثم جبذ خمارهـــا من على رأسها .. وقام إلى قربة معلقة في السقف .. فصب منها على الخمـــار .. وأخـــذ يغســـله ويعصره ويشمه .. فإذا أثر الطيب باق فيه .. فكشف البساط .. ثم جعل على التراب ماءً وأخـــذ يفرك الخمار على الطين .. حتى ذهبت الرائحة .. فغسله ثم ألقاه إليها ..

خوفاً عليها من دقيق الحساب .. وأليم العذاب .. والله يقول : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفســـكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ..

من أجلك نسحق الجماجم !!

بلغ من إكرام الدين للمرأة .. أنها كانت تقوم الحروب .. وتسحق الجماجم .. وتتطاير الرؤوس .. لأجل عرض امرأة واحدة ..

ذكر أصحاب السير :

أن اليهود كانوا يساكنون المسلمين في المدينة ..

وكان يغيظهم نزولُ الأمر بالحجاب .. وتسترُ المسلمات .. ويحاولون أن يزرعوا الفساد والتكشف في صفوف المسلمات .. فما استطاعوا ..

وفي أحد الأيام جاءت امرأة مسلمة إلى سوق يهود بني قينقاع ..

وكانت عفيفة متسترة .. فجلست إلى صائغ هناك منهم ..

فاغتاظ اليهود من تسترها وعفتها .. وودوا لو يتلذذون بالنظر إلى وجهها .. أو لمسِها والعبثِ بها .. كما كانوا يفعلون ذلك قبل إكرامها بالإسلام .. فجعلوا يريدونها على كشف وجهها .. ويغرونها لتنزع حجابها .. فأبت .. وتمنعت .. فغافلها الصائغ وهي جالسة .. وأخذ طرف ثوبها من الأسفل .. وربطه إلى طرف خمارها المتدلي على ظهرها ..

فلما قامت .. ارتفع ثوبها من ورائها .. وانكشفت سوأتها .. فضحك اليهود منها..

فصاحت المسلمة العفيفة .. وودت لو قتلوها ولم يكشفوا عورتها ..

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين .. سلَّ سيفه .. ووثب على الصائغ فقتله ..فشد اليهود على المسلم فقتلوه ..

فلما علم النبي ﷺ بذلك .. وأن اليهود قد نقضوا العهد وتعرضوا للمسلمات .. حاصرهم .. حتى استسلموا ونزلوا على حكمه ..

فلما أراد النبي ﷺ أن ينكل بهم .. ويثأر لعرض المسلمة العفيفة ..

قام إليه جندي من جند الشيطان ..

الذين لا يهمهم عرض المسلمات .. ولا صيانة المكرمات ..

وإنما هم أحدهم متعة بطنه وفرجه ..

قام رأس المنافقين .. عبد الله بن أبي ابن سلول ..

فقال : يا محمد أحسن في موالي اليهود وكانوا أنصاره في الجاهلية ..

فأعرض عنه النبي ﷺ .. وأبى ..

إذ كيف يطلب العفو عن أقوام يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ..فقام المنافق مرة أخرى .. وقال :

يا محمد أحسن إليهم .. فأعرض عنه النبي ﷺ .. صيانة لعرض المسلمات .. وغيرة على العفيفات ..

فغضب ذلك المنافق .. وأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ .. وجرَّه وهو يردد : أحسن إلى مواليّ .. أحسن إلى مواليّ ..

فغضب النبي ﷺ والتفت إليه وصاح به وقال : أرسلني ..

فأبى المنافق .. وأخذ يناشد النبي ﷺ العدول عن قتلهم ..

فالتفت إليه النبي ﷺ وقال : هم لك ..

ثم عدل عن قتلهم .. لكنه ﷺ أخرجهم من المدينة .. وطرَّدهم من ديارهم ..

حتى على النعش ..!!

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ..

أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ .. كانت دائمة الستر والعفاف ..

فلما حضرها الموت ..

فكرت في حالها وقد وضعت جثتها على النعش .. وألقي عليها الكساء .. فالتفتت إلى أسماء بنت عميس ..

وقالت يا أسماء : إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء ..

إنه ليطرح على جسد المرأة الثوب فيصف حجم أعضائها لكل من رأى ..

فقالت أسماء : يا بنت رسول الله .. أنا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ..

قالت : ماذا رأيتِ ..

فدعت أسماء بجريدة نخل رطبة فحنتها .. حتى صارت مقوّسة كالقبة .. ثم طرحت عليهـا ثوبـاً .. فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله .. تُعرف بها المرأة من الرجل ..فلما توفيت فاطمة .. جعل لها مثل هودج العروس ..

هذا حرص فاطمة على الستر وهي جثة هامدة .. فكيف لما كانت حية ؟!

سبحان الله !!

أين أولئك الفتيات المسلمات .. اللاتي نعلم أنهن يحببن الله ورسوله ..

وقلوبهن تشتاق إلى الجنة .. ولكن مع ذلك :

تذهب إحداهن إلى المشغل النسائي فتكشف عورتها طائعة مختارة لتقوم امرأة أخرى بإزالة الشعر من أجزاء جسدها .. وقد قال ﷺ فيما رواه الترمذي : (ما من امرأة تضع ثيابها .. في غير بيت زوجها .. إلا هتكت الستر بينها وبين ربها) ..

والنبي ﷺ قد قال فيما صح عند البيهقي : (شر نسائكم المتبرجات المتخيلات ، وهن المنافقات ، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم) .. بل .. أين الفتيات المسلمات اللاتي نؤمل فـيهن أن ينصرن الإسلام .. ويبذلن أنفسهن وأرواحهن خدمة لهذا الدين ..

فنفاجأ بإحداهن قد لبست العباءة المطرّزة .. أو الكعب العالي .. ثم ذهبت إلى سوق .. أو حديقة .. أو تلبس إحداهن البنطال .. وتقول : لا يراني إلا إخوتي .. أو أنا ألبسه بين النساء .. وكل هذا لا يجوز .. كما أفتى بذلك العلماء ..

بل قد تزيد بعض النساء بأن لا تكتفي بعمل المعصية بل تجرّ غيرها من الفتيات إليها .. فتنشر الصور المحرّمة .. أو أرقام الهواتف المشبوهة .. أو المجلات المليئة بالعهر والفساد ..

والله تعالى يقول : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب ألـيم في الـدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ ..

مسكينة ..!!

إن تساهل المرأة بالتكشف والسفور .. يؤدي إلى فساد حياتها .. وأن تكون أحقر عند الناس من كل أحد ..

سألت عدداً من الشباب .. ممن يتتبعون الفتيات في الأسواق وعند بوابات المدارس .. كيف تنظرون إلى الفتاة التي تستجيب لكم فقالوا لي جميعاً – والله – : إننا نحتقرها ونلعب بها وبعقلها .. فإذا شبعنا منها ركلناها بأرجلنا .. بل قال لي أحدهم : والله يا شيخ إني إذا ذهبت إلى السوق ورأيت فتاة عفيفة قد جمعت على نفسها ثيابها فإنها تكبر في عيني .. ولا أجرؤ على الاقتراب منها .. بل والله لو رأيت أحداً يقترب منها لتشاجرت معه ..

بل انظري إلى ما يحدث في البلاد التي يزعمون أن فيها حرّية ..

فقد بلغت المرأة من التكشف والسفور .. بل التفسخ والانحطاط .. ما ندمت عليه ..

يغتصب يومياً في أمريكا ألفٌ وتسعمائة فتاة .. عشرون في المائة منهن يغتصبن من قبل آبائهن ..!!

ويقتل سنوياً في أمريكا مليون طفل ما بين إجهاض متعمد أو قتل فور الولادة !! وبلغت نسبة الطلاق في أمريكا ستين في المائة من عدد الزيجات ..!! وفي بريطانيا مائة وسبعون شابة تحمل سفاحاً كلَّ أسبوع !!

كم من امرأة هناك والله تتمنى ما أنتِ عليه من تستر وعفاف ..

بل إن النساء لما تكشفت هناك .. انتشرت الفواحش .. وكثرت السرقات وأنواع الجرائم ..

والشيطان طالما استعمل بعض النساء لتحقيق الفساد في الأرض ..

ومن استغواها الشيطان .. فأطاعته وقدمت شهوات نفسها .. وتتبعت الموضات .. في اللباس .. والعباءة .. والنمص .. والوشم .. والأغاني .. والأفلام .. والمجلات ..

وصارت هذه الشهوات أغلى عندها من اتباع شريعة ربها ..

فهي عاصية .. وما خلقت النار إلا لتأديب العصاة ..

أخرج مسلم عن حديث أبي هريرة ﷺ قال : كنا عند النبي ﷺ يوماً ..

فسمعنا وجبة .. فقال النبي ﷺ : أتدرون ما هذا ؟

فقلنا : الله و رسوله أعلم ..

قال : هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً .. فالآن انتهى إلى قعرها ..قال الله :

﴿ خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ ..

هذا حال من عصت ربها .. وأهملت آخرتها ..

حتى خفت موازينها .. وتبرأ منها أبوها وأمها ..

ولم تنفعها صديقاتها .. ولا أساورها ومجلاتها ..

وأهل النار .. هم في النار لا ينامون ولا يموتون ..

يمشون على النار .. ويجلسون على النار ..

ويشربون من صديد أهل النار .. ويأكلون من زقوم النار ..

فرشهم نار .. ولحفهم نار .. وثيابهم ونار .. وتغشى وجوههم النار ..

قد ربطوا بسلاسل بأيدي الخزنة أطرافها ..

يجرونهم بها في النار .. فيسيل صديدهم .. ويرتفع صراخهم ..

ويلقى الجرب على جلودهم .. فيحكّون جلودهم .. حتى تبدو العظام ..

ولو أن رجلاً أدخل النار .. ثم أخرج منها إلى الأرض ..

لمات أهل الأرض من نتن ريحه .. وتشوّه خلقه ..

عجوز بني إسرائيل !!

قال أبو موسى قال :

أتى النبي ﷺ أعرابياً فأكرمه .. فقال له ﷺ : " ائتنا " ..

فأتاه .. فقال له رسول الله ﷺ :" سل حاجتك

قال : ناقة نركبها .. وأعتز يحلبها أهلي ..

فقال ﷺ : أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟

قالوا : يا رسول الله ! وما عجوز بني إسرائيل ؟!

قال :" إنَّ موسى ـــ عليه السلام ـــ لما سارَ ببني إسرائيل من مصر .. ضَلّوا الطريق ..

فقال : ما هذا ؟ فقال علماؤهم : إنَّ يوسفَ ـــ عليه السلام ـــ لمّا حضره الموتُ .. أخذ علينا موثقاً من الله .. أن لا نخرجَ من مصر حتّى ننقلَ عظامَه معنا ـــ أي بدنه بعد موته –

قال : فمن يعلمُ موضع قبره ؟

قال : عجوز من بني إسرائيل .. فبعث إليها .. فقال : دلَّيني على قبر يوسفَ .. قالت : حتى تعطيني حُكمي .. قال : وما حكمكِ ؟ قالت : أكونُ معك في الجنة ..

فكره أن يعطيها ذلك .. فأوحى اللهُ إليه أن أعطها حكمَها ..

فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقعِ ما .. فقالت : انضبوا هذا المـــاء .. فأنضـــبوه .. فقالـــت : احفروا .. فحفروا .. فاستخرجوا عظامَ يوسف .. فلما أقلّوه إلى الأرض .. فإذا الطريقُ مثل ضوء النهار ..

(الحديث في السلسة الصحيحة ـــ للألباني (٣١٣) وصحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٢) (٢٠٦٤) ..

أرأيت الفرق الواسع .. والبون الشاسع بين من يريد أعتزاً يحلبها .. وناقة يركبها ..

وبين من تريد مرافقة الرسول في الجنة ؟!

إنها الهمة العالية ، وفقط !

فأجيبيني .. ولا تلتفتي إلى غيرك .. فإنما أخاطبك أنت دون سواك ..ما هي أمنياتك ؟ وما أحلامك وطموحاتك ؟ إلى أين تريدين الوصول ؟

هل تحملين الهم الكبير ..

الهمّ الكبير ..!!

لا تعيشي لنفسك فقط .. بل احملي هم الدين .. لا يكن همك لباس وحذاء .. وتسريحة شعر .. وإنما الهم الأكبر كيف تخدمين هذا الدين ..

إذا رأيت عاصية فكيف تنصحينها .. كوني مباركة أينما كانت ..

تفيدين النساء في مجالسهن ..

توزعين عليهن الأشرطة النافعة .. تنصحين هذه .. وتتوددين إلى تلك.. فأنت أحسن الناس قولاً ..

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ . .

وأنت نحسبك من الصالحات .. اللاتي تغض إحداهن بصرها عن النظر إلى الرجال ..

بل وتغض بصرها عن النظر إلى من قد تُفتن بها من النساء ..

ومن تساهلت بالنظر الحرام .. والخلوة المحرمة .. جرّها ذلك إلى كبيرة الزنا .. أو السحاق عيــاذاً بالله ..

﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ..

وعند البخاري أن النبي ﷺ رأى رجالاً ونساءً عراة في مكان ضيق مثل التنور .. أسفله واسع وأعلاه ضيق .. وهم يصيحون ويصرخون .. وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم .. فإذا أتاهم ذلك اللهب صاحوا من شدة حره ..قال ﷺ : فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء الزناة والزواني .. فهذا عذابهم إلى يوم القيامة ..

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .. نسأل الله العفو والعافية .

ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ..

قصة ..

ذكر الدمشقي في كتابه " مطالع البدور "..

عن أمير القاهرة في وقته شجاع الدين الشِّــرَزي.. قال :

بينما أنا عند رجل بالصعيد.. وهو شيخ كبير شديد السمرة.. إذ حضر أولاد له بــيض حســان..

فسألناه عنهم.. فقال : هؤلاء أمهم إفرنجية.. ولي معها قصة.. فسألناه عنها.. فقال :

ذهبت إلى الشام وأنا شاب.. أثناء احتلال الصليبيين له.. واستأجرت دكاناً أبيع فيه الكتان.. فبينما أنا في دكاني إذ أتتني امرأة إفرنجية زوجة أحد قادة الصليبيين.. فرأيت من جمالها ما سحرني.. فبعتها وسامحتها في السعر..

ثم انصرفت.. وعادت بعد أيام فبعتها وسامحتها.. فأخذت تتردد عليَّ.. وأنا أتبسط معها فعلمت أني أعشقها..

فلما بلغ الأمر مني مبلغه.. قلت للعجوز التي معها :
قد تعلقت نفسي بهذه المرأة فكيف السبيل إليها ؟
فقالت : هذه زوجة فلان القائد.. ولو علم بنا.. قتلنا نحن الثلاثة..
فما زلت بها.. حتى طلبت مني خمسين ديناراً.. وتجيء بها إليَّ في بيتي..
فاجتهدت حتى جمعت خمسين ديناراً.. وأعطيتها إياها..

الليلة الأولى ..

وانتظرتها تلك الليلة في الدار.. فلما جاءت إليَّ أكلنا وشربنا..
فلما مضى بعض الليل.. قلت في نفسي : أما تستحي من الله !! وأنت غريب.. وبين يدي الله.. وتعصي الله مع نصرانية !!
فرفعت بصري إلى السماء وقلت : اللهم إني أشهدك أني عففت عن هذه النصرانية.. حياءً منك وخوفاً من عقابك..
ثم تنحيت عن موضعها إلى فراش آخر.. فلما رأت ذلك قامت وهي غضبى ومضت..
وفي الصباح.. مضيت إلى دكاني..
فلما كان الضحى.. مرت عليَّ المرأة وهي غضبى.. ووالله لكأن وجهها القمر..
فلما رأيتها.. قلت في نفسي : ومن أنت حتى تعفَّ عن هذا الجمال..؟ أنت أبو بكر.. أو عمر.. أم أنت الجنيد العابد.. أو الحسن الزاهد..
وبقيت تحسّر عليها.. فلما جاوزتني.. لحقت بالعجوز.. وقلت لها : ارجعي بها.. الليلة..
فقالت : وحق المسيح.. ما تأتيك إلا بمائة دينار..
قلت : نعم..
فاجتهدت حتى جمعتها.. وأعطيتها إياها..

الليلة الثانية ..

فلما كان الليل.. وانتظرتها في الدار . جاءت.. فكأنها القمر أقبل عليَّ.. فلما جلســت.. حضــرني الخوف من الله.. وكيف أعصيه مع نصرانية كافرة.. فتركتها خوفاً من الله..

وفي الصباح.. مضيت إلى دكاني.. وقلبي مشغول بها..

فلما كان الضحى.. مرت عليَّ المرأة وهي غضبى..

فلما رأيتها.. لُمْتُ نفسي على تركها..

وبقيت أتحسّر عليها.. فسألت العجوز..

فقالت : ما تفرح بها.. إلا بخمسمائة دينار.. أو تموت كمداً..

قلت : نعم.. وعزمت على بيع دكاني.. وبضاعتي.. وأعطيها الخمسمائة دينار..

فبينما أنا كذلك.. إذ منادي النصارى ينادي في السوق.. يقول :

يا معاشر المسلمين إن الهدنة التي بيننا وبينكم.. قد انقضت.. وقد أمهلنا من هنا من التجار المسلمين أسبوعاً..

فجمعت ما بقي من متاعي وخرجت من الشام وفي قلبي الحسرة ما فيه..

ثم أخذت أتاجر ببيع الجواري.. عسى أن يذهب ما بقلبي من حب تلك ما فيه..

فمضى لي على ذلك ثلاثُ سنين..

ثم جرت وقعة حطين.. واستعاد المسلمون بلاد الساحل..

وطُلب مني جارية للملك الناصر.. وكان عندي جارية حسناء.. فاشتروها مني بمائة دينار..

فسلموني تسعين ديناراً.. وبقيت لي عشرة دنانير.. فقال الملك :

امضوا به إلى البيت الذي فيه المسبيات من نساء الإفرنج.. فليختر منهن واحدة بالعشرة دنانير التي بقيت له..

الجائزة ..

فلما فتحوا لي الدار.. رأيت صاحبتي الافرنجية.. فأخذتها..

فلما مضيت إلى بيتي.. قلت لها : تعرفيني ؟! قالت : لا..

قلت : أنا صاحبك التاجر.. الذي أخذت مني مائة وخمسين ديناراً.. وقلــت لي : لا تفــرح بي إلا بخمسمائة دينار.. هاأنا أخذتك مِلكاً بعشرة دنانير..

فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله..

فأسلمت وحسن إسلامها.. فتزوجتها..

فلم تلبث أن أرسلت أمها إليها بصندوق.. فلما فتحناه.. فإذا فيه الصرتان التي أعطيتها.. في الأولى الخمسون ديناراً.. وفي الأخرى المائة دينار .. ولباسها الذي كنت أراها فيــه.. وهــي أم هــؤلاء الأولاد.. وهي التي طبخت لكم العشاء..

نعم.. ومن ترك شيئاً لله.. عوّضه الله خيراً منه..

والعبد قد يختفي من الناس.. ولكن أنى له أن يختفي من الله.. وهو معه..

غريقان في النهر !!

والمرأة العفيفة.. لا تهتك سترها.. ولا تدنس عرضها.. وإن كان في ذلك فقدان حياتها..

ذكر الخطاب في كتابه " عدالة السماء " :

أنه كان ببغداد قبل قرابة الأربعين سنة.. رجل يعمل جزاراً يبيع اللحم.. وكان يذهب قبل الفجر إلى دكانه.. فيذبح الغنم.. ثم يرجع إلى بيته.. وبعد طلوع الشمس يفتح المحل ليبيع اللحم..

وفي أحد الليالي بعدما ذبح الغنم.. رجع في ظلمة الليل إلى بيته.. وثيابه ملطخة بالــدم.. وفي أثنــاء الطريق سمع صيحة في أحد الأزقة المظلمة.. فتوجه إليها بسرعة.. وفجأة سقط على جثة رجل قــد طعن عدة طعنات.. ودماؤه تسيل.. والسكين مغروسة في جسده..

فانتزع السكين.. وأخذ يحاول حمل الرجل ومساعدته.. والدماء تترف على ثيابه..

لكن الرجل مات بين يديه..

فاجتمع الناس.. فلما رأوا السكين في يده.. والدماء على ثيابه.. والرجل فزع خائف..

اتهموه بقتل الرجل.. ثم حكم عليه بالقتل..

فلما أحضِر إلى ساحة القصاص.. وأيقن بالموت..

صاح بالناس.. وقال :

أيها الناس أنا والله ما قتلت هذا الرجل.. لكني قتلت نفساً أخرى.. منذ عشرين سنة.. والآن يقـــام عليَّ القصاص..

ثم قال :

قبل عشرين سنة كنت شاباً فتياً.. أعمل على قارب أنقل الناس بين ضفتي النهر..

وفي أحد الأيام جاءتني فتاة غنية مع أمها.. ونقلتهما..

ثم جاءتا في اليوم التالي.. وركبتا في قاربي..

ومع الأيام.. بدأ قلبي يتعلق بتلك الفتاة.. وهي كذلك تعلقت بي..

خطبتها من أبيها لكنه أبى أن يزوجني لفقري..

ثم انقطعت عني بعدها.. فلم أعد أراها ولا أمها..

وبقي قلبي معلقاً بتلك الفتاة.. وبعد سنتين أو ثلاث..

كنت في قاربي.. أنتظر الركاب.. فجاءتني امرأة مع طفلها..

وطلبت نقلها إلى الضفة الأخرى.. فلما ركبت.. وتوسطنا النهر..

نظرت إليها.. فإذا هي صاحبتي الأولى .. التي فرق أبوها بيننا..

ففرحت بلقياها.. وبدأت أذكرها بسابق عهدنا.. والحب والغرام..

لكنها تكلمت بأدب.. وأخبرتني أنها قد تزوجت وهذا ولدها..

فزين لي الشيطان الوقوع بها.. فاقتربت منها.. فصاحت بي.. وذكرتني بالله..

لكني لم ألتفت إليها.. فبدأت المسكينة تدافعني بما تستطيع.. وطفلها يصرخ بين يديها..

فلما رأيت ذلك أخذت الطفل.. وقربته من الماء وقلت إن لم تمكنيني من نفسك.. غرقته.. فبكـــت وتوسلت.. لكني لم التفت إليها..

وأخذت أغمس رأس الطفل فإذا أشفى على الهلاك أخرجته.. وهي تنظر إليّ وتبكي.. وتتوســـل.. لكنها لا تستجيب لي.. فغمست رأس الطفل في الماء.. وشددت عليه الخناق.. وهي تنظر.. وتغطي

عينيها.. والطفل تضطرب يداه ورجلاه.. حتى خارت قواه.. وسكنت حركته.. فأخرجته فإذا هـــو ميت.. فألقيت جثته في الماء..

ثم أقبلت عليها.. فدفعتني بكل قوتها.. وتقطعت من شدة البكاء..

فسحبتها بشعرها.. وقربتها من الماء.. وجعلت أغمس رأسها في الماء.. وأخرجه.. وهي تأبى علـــيَّ الفاحشة..

فلما تعبت يداي.. غمست رأسها في الماء.. فأخذت تنتفض حتى سكنت حركتها..

وماتت.. فألقيتها في الماء.. ثم رجعت..

ولم يكتشف أحد جريمتي.. وسبحان من يمهل ولا يهمل..

فبكى الناس لما سمعوا قصته.. ثم قطع رأسه.. ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾..

فتأملوا في حال هذه الفتاة العفيفة.. التي يقتل ولدها بين يديها.. وتموت هي.. ولا ترضـــى بهتـــك عرضها..

فهذا طرف من أخبار أهل العفة..

بائع متجول .. عفيف ..

وذكر ابن الجوزي في المواعظ :

أن شاباً فقيراً كان بائعاً يتجول في الطرقات.. فمرّ ذات يوم ببيت..فأطلت امرأة وسألته عن بضاعته فأخبرها.. فطلبت منه أن يدخل لترى البضاعة.. فلما دخل أغلقت الباب..

ثم دعته إلى الفاحشة.. فصاح بها.. فقالت : والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت.. فيحضر الناس فأقول هذا الشاب.. اقتحم عليَّ داري.. فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن..

فخوّفها بالله فلم تتزجر.. فلما رأى ذلك..

قال لها : أريد الخلاء..

فلما دخل الخلاء : أقبل على الصندوق الذي يُجمع فيه الغائط.. وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه.. ويديه.. وجسده..

ثم خرج إليها.. فلما رأته صاحت.. وألقت عليه بضاعته.. وطردته من البيت..

فمضى.. يمشي في الطريق والصبيان.. يصيحون وراءه : مجنون.. مجنون..

حتى وصل بيته.. فأزال عنه النجاسة.. واغتسل..

فلم يزل يُشمُّ منه رائحة المسك.. حتى مات..

فأين هذه العفة.. من فتيات اليوم.. تبيع إحداهن عرضها بمكالمة هاتفية.. أو هدية شيطانية.. وتنساق وراء كلام معسول من فاسق.. أو تنجرّ وراء شبهة من منافق..

دموع التائبات ..!!

ذكر ابن قدامة في كتابه التوابين :

أن قوماً فساق .. أمروا امرأة ذات جمال أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه ..وجعلوا لهـا إن فعلت ذلك ألف درهم ..

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب .. وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ..ثم تعرضت له حـين خرج من مسجده .. فنظر إليها .. فراعه أمرها فأقبلت عليه وهي سافرة ..

فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين ؟

أم كيف بك لو قد ساء بك منكر ونكير ؟

فصرخت صرخة .. وبكت .. ثم تولت إلى بيتها ..

وتعبدت .. حتى ماتت ..

وذكر العجلي في تاريخه :

أن امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة ..

فقالت لزوجها : أترى يرى أحد هذا الوجه ولا يفتتن به ؟!

قال : نعم .. قالت : من ؟! قال : عبيد بن عمير العابد الزاهد في الحرم ..

قالت : أرأيت إن فتنته .. وأكشف وجهي عنده ..

قال : قد أذنت لك ..فاتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ..فأسفرت عن وجـه مثل فلقة القمر ..

فقال لها : يا أمة الله .. غطي وجهك واتق الله ..

فقالت : إني قد فتنت بك ..

فقال : إني سائلك عن شيء .. فإن أنت صدقت .. نظرت في أمرك ..

قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك ..

قال : اخبريني .. لو أن ملك الموت أتاك يقبض روحك .. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجـة .. قالت : اللهم لا ..

قال : فلو أدخلت في قبرك فأجلست للمساءلة .. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟.. قالت : اللهم لا ..

قال : فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك .. أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا ..

قال : فلو أردت المرور على الصراط ولا تدرين تنجين أم لا .. كان يسرك أنى قضيت لـــك هـــذه الحاجة ..

قالت : اللهم لا .. قال : فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين .. كان يسرك إني قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .. قال : فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة .. كان يسرك إني قضيت لـــك هـــذه الحاجة ؟ قالت : اللهم لا ..قال : فاتقي الله يا أمة الله .. فقد أنعم الله عليك وأحســـن إليـــك .. فرجعت إلى زوجها .. فقال :

ما صنعت ؟ قالت : أنت بطال .. ونحن بطالون .. الناس يتعبدون ويستعدون للآخرة .. وأنا وأنت على هذا الحال ..

فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة .. حتى ماتت ..

طوبى لها ..!!

وكلما كانت المرأة بربها أعرف .. كانت منه أخوف ..

فإذا قارفت ذنباً أو معصية .. رجعت إلى ربها تائبة مفضية ..

تخاف من ويلات الذنوب .. وتترك لذة عيشها .. في سبيل أن تلقى ربها وهو راض عنها ..

فيغفر الله ذنبها..ويستر عيبها..وهو الذي يفرح بتوبة عباده إذا تابوا إليه..

في الصحيحين :

أن امرأة من الصحابيات .. كانت متزوجة في المدينة ..

وسوس لها الشيطان يوماً .. وأغراه برجل فخلا بها عن أعين الناس .. وكان الشيطان ثالثَهما .. فلم يزل يزين كلاً منهما لصاحبه حتى زنيا ..

فلما فرغت من جرمها .. تخلى عنها الشيطان ..

فبكت وحاسبت نفسها .. وضاقت حياتها .. وأحاطت بها خطيئتها .. حتى أحرق الذنب قلبها ..

فجاءت إلى طبيب القلوب ﷺ.. ووقفت بين يديه .. ثم صاحت من حرّ ما تجد .. قالت :

يا رسول الله .. زنيت .. فطهرني ..

فأعرض عنها .. فجاءت من شقه الآخرَ .. فقالت : يا رسول الله .. زنيت .. فطهرني ..

فأعرض عنها لعلها أن ترجع فتتوب بينها وبين الله ..

فخرجت .. من عنده .. والذنب يأكل فؤادها ..

فلم تطق صبراً ..

فلما جلس ﷺ في مجلسه من الغد فإذا بها تقبل عليه ..

فتقول : يا رسول الله .. طهرني ..

فأعرض عنها .. فصاحت من حر فؤادها .. قالت : يا رسول الله .. لعلك تريد أن ترددني كما رددت ماعزاً .. والله إني لحبلى من الزنا ..

فالتفت إليها ﷺ .. ثم قال : أما لا فاذهبي حتى تلدي ..

فخرجت من المسجد .. ومضت إلى بيتها .. تجر خطاها .. قد كبر همها .. وضعف جسدها .. ودمعت عينها ..

ذهبت تعد الساعات والأيام .. والآلام تلد الآلام ..

فلما مضت تسعة أشهر .. ضربها المخاض .. فلم تزل تتلوى من الألم حتى ولدت ..

فلما ولدت .. لم تنتظر نفاسها .. بل .. قامت من فراشها .. وحملت وليدها في خرقتها ..

ثم مضت به إلى رسول الله ﷺ .. ثم وضعته بين يديه ..

وقالت : هذا قد ولدته يا رسول الله .. فطهرني ..

فنظر النبي ﷺ إليها .. فإذا هي في تعبها ونصبها .. ونظر إلى وليدها فإذا هو صبي في مهده .. يتلبط بين يدي أمه ..

فقال : اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه .. فذهبت .. وغابت سنتين كاملتين .. عاشتها مع فلذة كبدها .. يتقلب في حضنها ..

تغسل وجهه بدمعاتها .. وتودعه بنظراتها ..

فلما فطمته من الرضاع .. لفت عليها ثيابها .. ثم خرجت بولدها من بيتها .. وناولته في يده كسرة خبز .. ثم أتت به يمشي معها .. حتى وقفت به بين يدي رسول الله ﷺ ..

فقالت : هذا يا نبي الله .. قد فطمته .. وقد أكل الطعام .. فطهرني ..

فدفع النبي ﷺ .. الصبي إلى رجل من المسلمين .. ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها .. وأمر الناس فرجموها حتى ماتت ..

نعم ماتت ..

لكنها .. غسلت وكفنت .. وقام ﷺ ليصلي عليها .. وهو يقول :

لقد تابت توبة .. لو تابها سبعون من المدينة لقبل منهم .. هل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها ..

ماتت .. وجادت بنفسها في سبيل الله ..

ماتت .. فطوبى لها .. وقعت في الزنى .. وهتكت ستر ربها .. وشهدت الملائكة الكرام .. واطلع الملك العلام ..

لكنها لما ذهبت اللذات .. وبقيت الحسرات ..

تذكرت يوم تشهد عليها أعضاؤها التي متعتها بالزنا..

رجلها التي مشت بها.. يدها التي لمست بها.. لسانها الذي تكلمت به..

بل تشهد عليها .. كل ذرة من ذراتها .. وكل شعرة من شعراتها ..

تذكرت حرارة النيران .. وعذاب الرحمن ..

يوم يعلق الزناة بعراقيبهم في النار.. ويضربون عليها بسياط من حديد.. فإذا استغاث أحدهم من الضرب.. نادته الملائكة : أين كان هذا الصوت وأنت تضحك.. وتفرح.. وتمرح.. ولا تراقب الله ولا تستحي منه..!!

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ خطب الناس فقال : (يا أمة محمد.. والله إنه لا أحد أغير من الله.. أن يزني عبده.. أو تزني أمته.. يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) .. فتابت توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم ..

تلفتي حولك ..!!

هكذا كانت نساؤهم .. رجاعات توابات ..

فهل لك أن تتأملي نساء اليوم .. كم منهن انزلقت قدمها في المعصية ..

بل صال حولها الشيطان وجال .. حتى أخرجها من الإسلام .. وألحقها بعباد الأصنام .. فتركت الصلاة .. وقد قال ﷺ : العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة .. فمن تركها فقد كفر ..

وانتقلي معي إن شئت .. إلى هناك .. انتقلي إلى الدار الآخرة .. ثم تأملي ما قصه الله علينا من خبر أهل الجنة وأهل النار ..

فبينما أهل الجنة فيها يتنعمون .. وعلى أسرتها يتقلبون ..

إذ تساءلوا عن أصحاب لهم كانوا في الدنيا .. على معصية للرحمن .. ما حالهم وخبرهم .. فتخبرهم الملائكة أنهم في النار يصطلون .. ومن زقومها ينجرعون .. ومع شياطينها يسلسلون .. عندها يشرف أهل الجنة ينظرون إليهم ويسألونهم .. ما سلككم في سقر ؟ ..

قال الله : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) ؟

نعم .. ما سلككم في سقر ؟ فاسمعي الجواب .. ذكروا أربعة أسباب أدخلتهم إلى النار .. (قَالُوا) ..

أولاً : (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) ..

ثانياً : (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) ..

ثالثاً : (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) .. نعم كنا نخوض مع الخائضين .. نفعل ما يفعله الناس .. إن تركوا الصلاة تركنا .. وإن عصوا عصينا .. وإن غنوا غنينا .. وإن دخنوا دخنا .. وإن ناموا عن الصلوات نمنا .. وإن عقوا والديهم عققنا .. نخوض مع الخائضين ..

رابعاً : (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) .. ما كنا نؤمن به إيمان من يردعه خوف الآخرة عن معاصيه ..

(حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) ..

قال الله : (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) .. نعم والله لو اجتمع الأنبياء عليهم السلام .. ومعهم الملائكة الكرام .. وشفعوا لكافر ليخرجوه من النار .. ما قبل الله منهم .. فالكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين ..

لا أدري من أطيع ؟!

في إحدى بلاد الفجور والسفور .. كانت هند فتاة صغيرة .. تذهب إلى مدرستها بلباس طويل ساتر ..

وكلما رأتها المعلمة .. صاحت بها .. البسي قصيراً كزميلاتك ..

وفي أحد الأيام .. اشتد غضب المعلمة عليها ..

فعادت الصغيرة إلى البيت باكية ..

وقالت لأمها : المعلمة .. ستطردني من المدرسة بسبب ملابسي الطويلة ..

الأم : ولكنها الملابس التي يريدها الله يا ابنتي ..

البنت : نعم .. ولكن المعلمة لا تريد ..

الأم : المعلمة لا تريد.. والله يريد فمن تطيعين ؟

أتطعين الله الذي أوجدك وصورك .. وأنعم عليك ؟ . أم تطيعين مخلوقة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ..

فقالت الفتاة : بل أطيع الله ..

وفي اليوم التالي .. ذهبت تلك الفتاة بالثياب الطويلة ..

وعند ما رأها معلمتها أخذت تؤنبها بقسوة ..

عندها انفجرت الصغيرة باكية .. وقالت : والله لا أدري من أطيع ؟ أنت أم هو ..

فصاحت المعلمة : ومن هو ؟

قالت الفتاة : الله ..

أطيعك أنت فألبس ما تريدين واعصيه هو .. أم أطيعه وأعصيك ..

عندها انفجرت المعلمة باكية .. تائبة .. وهي تقول : بل أطيعيه .. بل أطيعيه ..

وأنت من تطيعين ؟

امرأة على باب المقبرة ..!!

قالت : كنا منصرفين قبيل المغرب من زيارة عائلية .. أوقف زوجي سيارته أثناء الطريق عند مسجد ملاصق لسور المقبرة .. أظلم علي الليل .. وأنا في السيارة وحدي .. أحسست ببدني يرتجف .. تخيلت أنها الزيارة الأخيرة .. وأني أودع الدنيا .. نظرت إلى المقبرة .. عشرات الأقارب .. و الأصدقاء .. كانوا معنا .. وهم اليوم تحت التراب .. آلاف الجنائز كل يوم .. تمضي إلى الدار الآخرة .. توضع تحت التراب .. يواجه كل واحد منهم مصيره وحده .. ويبكي أهلهم أياماً ثم ينسونهم .. هاهنا .. نعم .. وراء هذه الأسوار : أغنياء وفقراء .. وصعاليك و أمراء .. وأقوياء وضعفاء .. وظلمه وأبرياء .. الكل يتوارون تحت التراب ويلاقى كل منهم ما قدم من خير أو شر ..

يا إلهي !!

كيف لو أن قلبي سكت الآن فجأة ، وبدلآ من أن أعود إلى صغاري .. دفنت في حفرة مظلمة .. لا أنيس ولا جليس .. ولا حبيب ولا قريب .. أنا وحدي والظلام .. والعذاب والسؤال والحساب ..؟ أما أهلي .. وأولادي وأحبابي .. نفضوا أيديهم من تراب قبري .. نسوني .. ولم يذكروني .. وصدق الله لما قال : (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) ..

وختاماً .. أيتها الجوهرة المكنونة ..

والدرة المصونة .. أهمس في أذنك بكلمات .. أرجو أن تصل إلى قلبك قبل أذنك ..

لا تغتري بكثرة العاصيات .. لا تغتري بكثرة من يتساهلن بالحجاب .. ومغازلة الشباب ..

أو يتعلقن بالعشق والهيام .. ومقارفة الحرام .. همهن المسرحيات والأفلام .. يعشن بلا قضية ..

فنحن – بصراحة – في زمن كثرت فيه الفتن .. وتنوعت المحن ..

فتن تفتن الأبصار .. وأخرى تفتن الأسماع .. وثالثة تسهل الفاحشة .. ورابعة تدعوا إلى المال الحرام ..

حتى صار حالنا قريباً من ذلك الزمان .. الذي قال فيه النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما : (فإن وراءكم أيام الصبر .. الصبر فيهن كقبض على الجمر .. للعامل فيهن أجر خمسين منكم .. يعمل مثل عمله .. قالوا : يا رسول الله .. أو منهم .. قال : بل منكم ..) .. حديث حسن ..

وإنما يعظم الأجر للعامل الصالح في آخر الزمان .. لأنه لا يكاد يجد على الخير أعواناً .. فهو غريب بين العصاة .. نعم غريب بينهم .. يسمعون الغناء ولا يسمع .. وينظرون إلى المحرمات ولا ينظر .. بل ويقعون في السحر والشرك .. وهو على التوحيد ..

وعند مسلم أنه ﷺ قال : بدأ الإسلام غريباً .. وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء .. نعم طوبى للغرباء ..

وعند البخاري : قال ﷺ : إنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ..

وأخرج البزار بسند حسن أنه ﷺ قال : يقول الله عز وجل : وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين .. إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة .. وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ..

نعم .. من كان خائفاً في الدنيا .. معظماً لجلال الله .. أمن يوم القيامة .. وفرح بلقاء الله .. وكان من أهل الجنة الذين قال الله عنهم :

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ ..

أما من كان مقبلاً على المعاصي .. همه شهوة بطنه وفرجه .. آمناً من عذاب الله .. فهو في خـــوف وفزع في الآخرة ..

قال الله : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـــوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ ﴾ ..

فتوكلي على الله إنك على الحق المبين ..

ولا تغتري بكثرةِ المتساقطات .. ولا ندرةِ الثابتات ..

ولا تستوحشي من قلة السالكات ..

يا مربية الأجيال .. وصانعة الرجال ..

هذه وصايا استخرجتها لك من مكنون نصحي ..

سكبت فيها روحي .. وصدقتكِ فيها النصحَ والتوجيه ..

أسأل الله أن يحفظك بحفظه .. ويكلأك برعايته ..

ويجعلك من المؤمنات التقيات .. الداعيات العاملات ..

ولسوف تبقين أختاً لنا .. حتى وإن لم تستجيبي لنصحنا ..

نحب لك الخير ..

ولسوف ندعوا الله لك آناء الليل .. وأطراف النهار ..

ولن نمل أبداً من نصحك وحمايتك ..

وأملنا أن الله لن يضيع جهدنا معك ..

وما توفيقنا إلا بالله ..

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ..

كتبه /

أخوك الداعي لك بالخير

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

ص.ب/١٥١٥٩٧ الرياض ١١٧٧٥

arefe@arefe.com